

روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جدا!!
٧١
أمير الظلام
باسل
Www.dvd4arab.com
ملف المستقبل ● أمير الظلام ● ٧١ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة
ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي
المؤلف
د. نبيل فاروق
أمير الظلام
● هل يمكن أن يسود العالم ظلام دائم أبدي ؟
● من هو (أمير الظلام) ؟ ولماذا أطلق على نفسه هذا الاسم ؟
● تُرى .. لمن يكون النصر ، لـ(نور) وفريقه ، أم لـ(أمير الظلام) ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع فريق (ملف المستقبل) ، من أجل الأرض ..
الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
العدد القادم : ابن الشيطان



١ ــ زحف الظلام ..

تثاءب الدكتور (فهمى) ، العالم الفيزيائى الشهير ، وهو يرقد فى فراشه ، فى صباح أحد أيام الجمعة ، فى بدايات فصل الصيف ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة نصف نائمة ، وهو يغمغم :

ــ يا له من صباح جميل !!

كانت الشمس تبدو من نافذة حجرته مشرقة ، وكأنما تبتسم للدنيا كلها ، وتحتضنها بأشعتها الدافئة ، فابتسمت زوجته ، وقالت ضاحكة :

ــ إنه ينبئ بيوم حارّ .

استرخى أكثر فى فراشه ، وهو يغمغم فى تكاسل :

ــ لا بأس .. إننى سأبقى فى فراشى ، وسيحجب عنى جهاز التكييف كل هذا .

هتفت معترضة :

ــ تبقى فى فراشك ؟! .. انهض يا رجل .. ألم تعد أبناءك بنزهة خلوية ، يوم إجازتك ؟

مطَّ شفتيه ، وهو يقول فى ضَجَر :

ــ يبدو أننى سأحنث بوعْدى معهم .

ضحكت وهى ترفع عنه أغطية الفراش ، قائلة :

ــ ولن أسمح أنا بأن يكون زوجى ممن يحنثون بوعودهم .

ابتسم ، ونهض من فراشه فى تكاسل ، وهو يغمغم :

ــ لا بأس .. سأبذل أقصى جهدى ؛ لأبعث الفخر فى نفسك اليوم .

ووقف إلى جوار فراشه ، على نحو مسرحىّ ، ولوَّح بيده فى حركة تمثيلية ، مستطردًا :

ــ سنخرج لنزهة خلوية .

ثم عاد يتطلَّع إلى قرص الشمس المشرق ، قبل أن يُرْدِف فى رجاء :

ــ ولعل الشمس تخجل من مبادرتنا ، فتحجب عنا حرارتها اليوم .. أتمنَّى ذلك ..

* * *

انتفخت أوداج قَزَم صغير ، يبدو أشبه بطفل فى الخامسة من عمره ، على الرغم من تجاوزه سن الأربعين ببضعة أشهر ، وهو يعْبر ممرًّا طويلًا ، خافت الضوء على نحو ملحوظ ، وبدت

عيناه متألقتين ببريق شرير ، وهو يتوقَّف أمام باب معدنىّ مغلق ، ويغمغم :

ــ سيكون سموّ الأمير سعيدًا للغاية اليوم ، حينما أبلغه الخبر .. إنه ينتظره منذ عشرة أعوام كاملة .

قال هذا ، وأخرج من حزامه منظارًا خاصًّا ، يستخدم الأشعة دون الحمراء ، للرؤية فى الظلام الدَّامس ، ووضعه فوق عينيه ، ثم ضغط زرًّا مجاورًا للباب المعدنىّ ، فانطفأت كل الأنوار دفعة واحدة ، مع تحرُّك جانبى الباب فى بطء ، لتتكشف حجرة ضخمة ، مؤثثة بعناية فائقة ، وبثراء فاحش ، بحيث كان جانبها الأيسر كله عبارة عن منزل كامل تقريبًا ، يحوى أحدث ما ابتكرته قريحة مصممى ديكورات المنازل ، فى القرن الحادى والعشرين ..

أما الجانب الأيمن ، فكان يحوى مجموعة من أحدث وأقوى مبتكرات تكنولوچيا القرن ، للرصد والمتابعة والرؤية ، والتحكُّم عن بُعْد ..

كانت الحجرة باختصار عبارة عن معمل آلىّ متكامل ، وقاعدة عسكرية تكنولوچية ، ومنزل أنيق فى الوقت ذاته ..

وداخل تلك الحجرة ، كان يجلس رجل واحد ..

رجل نحيل للغاية ، فارع الطول ، بدا فى ثوبه الأسود كجزء من ظلام الحجرة المخيف ، وهو يجلس على مقعد أسود وثير ، ويرتكن بذقنه على قبضته المضمومة ، كما لو كان شاعرًا ينتظر هبوط الوحى ، أو مقاتلًا خرج على التوّ من معركة رهيبة حاسمة ..

وفى حماس ، أُغلق القزَم الضئيل باب الحجرة ، واتجه نحو مقعد الرجل ، الذى قال فى خفوت ، دون أن يلتفت إليه :

ــ ماذا وراءك يا (مارد) ؟

بدت العبارة أشبه بنكتة ساخرة ..

ذلك القزَم الضئيل ، الذى لا يتعدّى طوله نصف المتر ، يحمل اسم (مارد) ..

متناقضة مثيرة للضحك والإشفاق فى آن واحد ..

ولكن من العجيب أن الاسم كان يرُوق للقزَم ..

كان يملأ فى أعماقه ذلك الفراغ النفسىّ ، الذى تركه حجمه الضئيل ..

وفى زَهْو ..

وبكلمات تموج بالفخر والظَّفَر ، قال (مارد) :

ــ لقد حدث ما كنت تنتظره منذ عشر سنوات يا سمو الأمير .

انتفض النحيل فوق مقعده ، وأدار عينيه إلى القزَم فى حركة حادَّة ، كما لو أن هذا الأخير قد نقل إليه خبر عودته إلى الحياة ، وهتف فى صوت خنقه الانفعال :

ــ ماذا ؟! .. هل .. هل ..... ؟

غلبه الانفعال ، فلم يتم سؤاله ، إلّا أن (مارد) قد أدرك فحوَى السؤال ، دون أن يسمعه ، فأومأ برأسه إيجابًا ، وابتسم فى فخر ، وهو يجيب فى هدوء :

ــ نعم يا سيِّدى .. لقد اكتمل جهاز سحب الظلام ، وهو ينتظر إشارة البدء .

ثم انحنى فى توقير ، مستطردًا :

ــ حينما تأمر سموّك بذلك .

لبث النحيل صامتًا بضع لحظات ، وكأنما يغلبه الانفعال ، ويملأ نفسه حتى الأعماق ، ثم تمتم فى انفعال بالغ :

ــ ماذا تنتظر ؟

واختلج صوته ، وتحشرج ، واختنق فى حلقه ، وهو يستطرد :

ــ ابدأ على الفور .

تألّقت عينا القزَم ببريق شيطانىّ مخيف ، وهو ينحنى أمام سيِّده مرَّة أخرى ، مغمغمًا :

ـ سمعًا وطاعة يا سمو الأمير .

واعتدل واقفًا ، ثم دار على عَقِبَيْه ، على نحو عسكرىّ صِرْف ، وانطلق مغادرًا الحجرة ، تاركًا قلب سيِّده ينبض فى عنف ، وهو يغمغم فى انفعال :

ـ أخيرًا .. أخيرًا يا كوكب الأرض .. ستتشارك المصير .

وتألّقت عيناه ، حتى لقد كادتا تخترقان الظلام من حوله ، وهو يهتف :

ـ ستخضع أخيرًا لى .. لأمير الظلام ..

وانطلقت من حنجرته ضحكة عالية مخيفة ..

ضحكة شيطان ..

* * *

أوقف الدكتور (فهمى) سيارته أمام الحديقة العالمية الجديدة ، المقامة على مشارف ما كان يسمى قديمًا بالصحراء الغربية ، وأشار لابنيه قائلًا :

ـ أظن أنكما لن تجدا مكانًا أجمل من هذا .. لقد أنشأت الدولة هذه الحديقة عام ألفين ، على مساحة ثلاثة آلاف فدان ، وكلها عبارة عن حدائق تحوى كل نباتات العالم تقريبًا ، بالإضافة إلى حديقة حيوان متكاملة ، و .....

قاطعته زوجته ضاحكة :

ـ (فهمى) .. أظنهما لا يرغبان كثيرًا فى سماع تلك المحاضرة ، التى تكرّرها على مسامعهما ، فى كل مرة تصحبهما فيها إلى هنا .. أليس كذلك ؟

عقد حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ كيف ؟ .. من الضرورىّ أن .....

حانت منه التفاتة إلى ولديه ، اللذين بدا الضجر واضحًا فى ملامحهما ، فتنحنح باترًا عبارته ، وحلَّ انعقاد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. أظنك على حقّ .

ثم أشار إلى ولديه ، مستطردًا :

ـ هيَّا .. انطلقا .

تهلَّلت أسارير الطفلين ، وقفزا خارج السيارة ، وانطلقا يلهوان فى مرح ، وتابعهما ببصره فى حنان ، ثم التفت إلى زوجته ، مغمغمًا :

ـ إنهما يحتاجان إلى ذلك بالتأكيد .

داعبت شعره فى حنان ، متمتمة :

ـ كل الأطفال يحتاجون إلى الحركة ، وخاصَّة فى تلك المرحلة من العمر .

تثاءب ، وهو يقول ضاحكًا :

ـ أمّا أنا ، فأحتاج إلى الاسترخاء ، وخاصّةً فى تلك المرحلة من العمر .

ضحكت زوجته ، وقالت :

ـ إنك لست عجوزًا .

غادر السّيارة ، وألقى بنفسه فوق الحشائش الخضراء ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ ولكننى لن ألبث أن أصبح كذلك ، لو لم أحصل على قدر من الراحة يوم إجازتى ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى السماء على نحو عجيب ، أثار انتباه زوجته وتوتُّرها ، فسألته فى حِدَّة :

ـ ماذا حدث ؟

اعتدل جالسًا ، فى حركة عنيفة ، وهو يشير إلى السماء ، هاتفًا :

ـ تلك السحب .

قالها فى لهجة مُفْعَمَة بالانفعال ، دفعت زوجته إلى أن تهتف بدورها :

ـ ماذا بها ؟

هتف فى حِدَّة :

ـ السُّحب السوداء .

بدت لها العبارة عجيبة ، فأدارت عينيها إلى السماء ، وتطلّعت إلى تلك السحب السوداء ..

وارتجفت ..

كانت السحب مخيفة حقًّا ..

ولكنها لم تكن كثيفة ..

كانت عبارة عن بضع بقع صغيرة من سحب سوداء قاتمة ، تنتشر فى أجزاء متفرِّقة من السماء ..

وفى مزيج من الحَيْرة والتوتُّر والقَلَق ، سألته :

ـ ماذا بها ؟

هبَّ واقفًا ، وهو يهتف :

ـ إنها سحب سوداء فحسب ، وهذا وحده يكفى لإثارة كل الدهشة والقلق والتوتُّر ، و .....

مرَّة أخرى بتر عبارته ، وكأنَّما لا يجد ما يضيفه ، وقال فى توتُّر :

ـ أحضرى الطفلين .. سنغادر المكان .

هتفت معترضة :

ـ (فهمى) !! .. لقد وصلنا على التوّ ، و .....

قاطعها فى صرامة :

ـ أحضرى الطفلين .

عقدت حاجبيها فى ضيق ، وهى تقول فى حِدَّة :

ـ ينبغى أن أفهم أوَّلًا .

هتف فى توتُّر :

ـ تفهمين ماذا ؟

صاح فى غضب :

ـ ينبغى أن أفهم لماذا أثارتك رؤيا تلك السحب السوداء إلى هذا الحد ؟

أمسك كتفيها ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرةً ، وهو يقول :

ـ لأننى عالم فيزيائىّ ، ولأنه ، وبكل بساطة ، لا وجود لأيَّة سحب سوداء ، فى العالم كله..

هتفت فى خوف :

ـ يا إلٰهى !!

ثم عادت تستدرك فى ذُعْر :

ـ ما هذه السُحب إذن يا (فهمى) ؟

تطلَّع مرَّة أخرى إلى السحب ، وقال فى صوت مرتجف :

ـ لست أدرى .. صحيح أنها تخيفنى ، ولكننى لست أدرى ما هى ..

هتفت فى خوف ، وهى تبحث ببصرها عن طفليها :

ـ مَنْ يَدْرِى إذن يا (فهمى) ؟.. مَنْ ؟

أجابها فى حزم :

ـ أولئك الساهرون على أمننا يا عزيزتى .

وألقى نظرة أخرى على السحب ، قبل أن يستطرد :

ـ رجال المخابرات العلميَّة المصريَّة ..

* * *




جلس (أمير الظلام) النحيل فى حجرته المظلمة ، يراقب شاشة راصدة فى اهتمام بالغ ..

٢ ـ دورة واحدة ..

جلس (أمير الظلام) النحيل فى حجرته المظلمة ، يراقب شاشة راصده فى اهتمام بالغ ..

كان الراصد ينقل إليه صورة فضائية ، لانتشار السُحب السوداء حول العالم ، وكانت شاشة الراصد كلها مغطّاة بغلالة داكنة ، تُخفِّف الإضاءة ، وتقلِّل من سقوطها على عينى الرجل بقدر الإمكان ..

وفى هدوء ، وبلا صوت تقريبًا ، اقترب منه القَزَم ، ووقف إلى جوار مقعده ، يتابع معه المشهد ، قبل أن يغمغم فى خُفوت :

ـ دورة أرضية واحدة ، ويحيط بالأرض غلاف أسود يا سمو الأمير .

تنهَّد (أمير الظلام) ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ وبعدها أصعد إلى السطح .

أضاف القَزَم فى شهوة :

ـ وتحكم العالم .

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى النحيل ، والتفت إلى القَزَم ، يقول فى هدوء :

ـ الأمور لا تسير بتلك البساطة يا (مارد) .

عقد (مارد) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ ولكنهم سيعجزون حتمًا عن مواجهة سلاحك يا سموّ الأمير ، وسيكون عليهم الاستسلام لك ، دون قيد أو شرط .

سأله (أمير الظلام) فى هدوء :

ـ مقابل ماذا ؟

أجابه القَزَم فى سرعة :

ـ مقابل أن .....

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذُعر ، وكأنما أفاق فجأة من حُلم جميل ، ليجد نفسه على أرض الواقع ، وهتف فى حَنَق :

ـ اللَّعنة !! لقد نسيت ذلك .

اعتدل (أمير الظلام) فى هدوء ، وتنهَّد فى عُمْق ، ثم قال :

ـ المقابل الذى سيطلبونه هو أن نعيد إليهم ضوء الشمس يا (مارد) .

تمتم (مارد) فى سخط :

ـ هذا صحيح .

استرخى الرجل فى مقعده ، وعاد يتابع شاشة الراصد ، مغمغمًا فى أمل :

ـ وكل ما أنشده أنا هو الظلام يا (مارد) .. الظلام الأبدىّ ..

* * *

عَبَرَ (نور) ممرَّات مبنى المخابرات العلمية المصرية ، فى خُطوات واسعة ، حتى توقَّف أمام الباب المؤدِّى إلى إدارة البحث العلمى ، وأخرج من جيبه بطاقة مغناطيسية ، دسَّها فى فراغ خاصّ إلى جوار الباب ، فانزاح الباب فى هدوء ، وعَبَرَه (نور) إلى ممرٍّ آخر ، أكثر اتساعًا ، حتى انحرف إلى حجرة من حجراته الجانبية ، وسمع الدكتور (عبد الله) ، مدير إدارة البحث العلمىّ يقول :

ـ مرحبًا يا (نور) .. كنَّا ننتظرك .

صافحه (نور) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ أين هو ؟

أشار الدكتور (عبد الله) إلى حجرة مرفقة بحجرته ، وهو يجيب :

— فى الداخل .

قال (نور) ، وهو يتَّجه نحو الحجرة الجانبية :

— أظن أن كلامه ليس موضع شك ، فتلك السُّحب السَّوداء تملأ السماء ، وهى تنتشر بسرعة مخيفة .. أليس كذلك ؟

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه إيجابًا ، وقال :

— بَلَى .. ويؤكِّد علماؤنا أنه لو واصلت تلك السُّحب انتشارها بنفس السرعة ، وعلى نفس النحو ، فسيكون هذا هو آخر يوم يرى فيه كوكب الأرض شمسه .

غمغم (نور) فى توتُّر :

— يا إلٰهى !!

ثم دفع باب الحجرة الجانبية ، ودلف إليها ، ونقَّل بصره بين وجه الدكتور (هانى) ، رئيس أبحاث الطقس فى الإدارة ، ووجه الدكتور (فهمى) ، ثم اتجه نحو هذا الأخير ، وصافحه ، قائلًا :

— الدكتور (فهمى) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟

أومأ الدكتور (فهمى) برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم فى خُفوت :

— بلى .

جلس (نور) على المقعد المقابل له ، وهو يقول :

— الرائد (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية .. أردت سماع رأيك عن تلك السُّحب السَّوداء .

قال الدكتور (فهمى) فى توتُّر :

— رأيى ؟! .. لو أننى أملك رأيًا فى هذا الشأن ، ما اكتفيت بإبلاغكم عن وجود تلك السحب المخيفة ، ولأخبرتكم عن أمرها على الفور .

ومطَّ شفتيه ، وهو يستطرد فى حِدَّة :

— وأظن بلاغى كان عديم القيمة ، فلقد انتشرت تلك السُّحب فى العالم أجمع ، وعلى نحو ملحوظ للجميع .

قال (نور) فى هدوء :

— ولكنك عالم فيزيائىّ ، ويمكنك تقدير الأمر أكثر من غيرك .

لوَّح الدكتور (فهمى) بكفِّه ، هاتفًا :

— أىّ أمر ؟.. العلم الذى درسته يؤكِّد استحالة وجود سحب سوداء على هذا النحو .

التفت (نور) إلى الدكتور (هانى) خبير الطقس، وكأنه يسأله رأيه ، فأومأ هذا الأخير برأسه إيجابًا ، وقال :

— هذا صحيح أيها الرائد ، فالسُحب التى نعرفها محدودة ، وهى ثمانية أنواع لا غير ، مثل (الرُكامى) ، و (الرُكامى الطبقى) ، و (الطبقى قرن) ، وهذه الأنواع الثلاثة تظهر على ارتفاعات تقلُّ عن ألفين وخمسمائة متر من سطح البحر ، وبعدها يظهر النوعان (الرُكامىّ المرتفع) و (الطبقىّ المرتفع) ، ما بين ألفين وخمسمائة متر ، وستة آلاف ومائة متر ، ثم (الزغبى) من هذا الارتفاع الأخير ، إلى ارتفاع ثمانية عشر ألفًا ، وثلثمائة متر ، ويبقى نوعان رماديا اللَّون ، وهما (الرُكامىّ) ، الذى يمتد إلى ارتفاع ثلاثة عشر ألفًا ، وسبعمائة متر ، و (الرُكامىّ قرن) ، الذى يرتفع إلى ارتفاع (الزغبى) ، وفى كل هذه الأنواع لا يوجد سحاب أسود مطلقًا(*) .

سأله (نور) فى اهتمام :

— وماذا عن السُحب الناتجة من عوادم المصانع ؟

هزَّ الدكتور (هانى) رأسه ، وقال :

— إن أقصى ما تبلغه هو اللَّون الرَّمادىّ الداكن ، أما ذلك اللون الأسود القاتم ، فلا مثيل له أبدًا .

(*) حقيقة علمية .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

— والقانون ، منذ عام ألفين ، يحظر أن تُخرج المصانع عوادمها إلى الهواء الطلق ، ويحتِّم عليها إذابتها فى بعض المذيبات الخاصَّة ، ثم أين هو ذلك المصنع ، التى تغطى أبخرة عوادمه العالم كله ؟

عاد (نور) يسأل فى اهتمام :

— ماذا قالت إذن الأقمار الصناعية ، الخاصَّة بكشوف الطقس ، عن تلك السُحب ؟ .

تبادل الدكتور (هانى) نظرة متوتِّرة ، مع الدكتور (فهمى) ، الذى قال فى عصبيَّة ملحوظة :

— هذه هى أخطر نقطة فى الأمر كله أيها الرائد .

انتقلت عصبيَّته إلى (نور) ، الذى قال فى حِدَّة :

— لماذا ؟

أجابه الدكتور (فهمى) :

— لأن أقمار الطقس قد أصابها ارتباك غير مفهوم ، وبدت رسائلها مرتبكة مشوَّشة ، و .....

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

— مهلًا .. ما الذى يَعْنِيه ذلك ؟ .. هل عجزت الأقمار الصناعية عن تحليل تلك السُّحب ؟!

عاد العالمان يتبادلان تلك النظرة ، قبل أن يغمغم الدكتور (هالى) :

— بل الأمر أخطر من ذلك بكثير يا (نور) .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

— إن تلك السُّحب تحجب كل أنواع الإشارات اللاَّسلكية .. تحجبها تمامًا ..

* * *

« تحجبها ؟!! .. » ..

هتف الدكتور (عبد الله) فى ذُعر ، قبل أن يستطرد فى هَلَع :

— يا إلٰهى !! .. أتعلم ما الذى يَعْنِيه ذلك يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى عصبيَّة :

— إنه يَعْنِى عجزنا عن الاتصال بأقمار الطقس تمامًا .

هتف الدكتور (عبد الله) :

— بل يَعْنِى ما هو أكثر وأخطر من ذلك ..

ولوَّح بذراعيه فى انفعال ، وهو يستطرد :

— إن عالم القرن الحادى والعشرين لم يَعُد عالمًا مغلقًا ،

لقد صار الفضاء المحيط بكوكب الأرض جزءًا من عالمنا .. لقد اتسعت رقعتنا ، وصار نصف أو جُلُّ اعتمادنا تقريبًا على الأقمار الصناعية .. إنها وسيلة الاتصال بين الدول بعضها وبعض ، ووسيلة بَثّ الإذاعات المسموعة والمرئية ، بل حتى وسيلة دفاع الدول عن أمنها ، منذ وضعت الولايات المتحدة الأمريكية برنامج حرب النجوم ، فى ثمانينيات القرن العشرين ، وتبعتها باقى الدول ، حتى اكتمل البرنامج فى أوائل القرن الحادى والعشرين .. إن توقف الاتصال بالأقمار الصناعية ، بعد كل هذا ، يصيب العالم كله بشلل مفاجئ ، يفقده أكثر من ثلثى قوته ، ويجعله أضعف من أن يصدَّ هجومًا ، أو .....

قاطعه (نور) فى انفعال :

— أو غزوًا من الفضاء الخارجى .

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) فى ذُعر ، وهو يغمغم :

— (نور) .. هل تظن أن .... ؟

عاد (نور) يقاطعه فى حزم :

— لست أحبّ أن أستبق الأحداث يا دكتور (عبد الله) ..

ولكن لو أن أحدهم يسعى لحجب الأرض عن الشمس ، ومنع اتصالها بالأقمار الصناعية المحيطة بها ، فهذا لا يَعْنِى سوى احتمال واحد .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حزم :

ـــ الغَزْو ..

* * *



٣ ـــ الإنْذار ..

انتفض القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، عندما سمع تلك الكلمة المخيفة ، من بين شفتى (نور) ، وتمتم فى توتُّر :

ـــ يا إلٰهى !! .. أتتصوَّر هذا حقًّا يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـــ تمامًا يا سيِّدى .. إن الأمر يبدو لى أشبه بما واجهته منذ عدَّة أعوام ، حينما حاول بعض الغزاة ، من الفضاء الخارجى ، حجب ضوء الشمس عن الأرض ، تمهيدًا لغزوها(*) .

سأله القائد الأعلى فى توتُّر :

ـــ أتظنهم قد عادوا يا (نور) ؟

مطَّ شفتيه ، وقال :

ـــ كلَّا يا سيِّدى .. لست أظن ذلك ، فلقد دمرنا كل قواعدهم فى المرَّة السابقة ، ولست أظنهم يستطيعون العَوْدَة

(*) راجع قصة (السماء المظلمة) .. المغامرة رقم (٣٧) .

بهذه السرعة ، وإنما قصدت أنَّ هذا الأمر يشبه ما حدث مسبقًا كثيرًا ، باستثناء حجب الاتصال بالأقمار الصناعية هذه المرَّة .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وعقد كفَّيْه خلف ظهره ، وهو يقول :

ــ استنتاجك مخيف ومعقَّد كالمعتاد يا (نور) .. لقد ذهبت إلى أبعد مما ذهب إليه الآخرون بكثير .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ وما الذى ذهبوا إليه ؟

تنهَّد القائد الأعلى ، قبل أن يجيبه :

ــ لقد تصوَّرت كل من الدولتين العظميين أن الأُخرى هى صاحبة ذلك الحدث الغامض ، وأنها قد أعدَّت منذ زمن خُطَّة غزو أرضية ، تعتمد على منع الدولة الأُخرى من استخدام أقمار أشعة اللِّيزر ، أو حتى الصواريخ عابرة القارَّات ، ذات الرؤوس النووية ، حيث يعتمد توجيهها على إرسال إشارات خاصَّة ، يصعب تغلُّبها على أنحناء الأرض وتكوُّرها ، ما لم يتم نقلها وتعديل مسارها ، بواسطة عدد من الأقمار الصناعية ، المرتبة على نحو خاص .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ أيَعْنِى هذا أن العالم قد فقد قدرته النوويَّة بغتة ؟

تنهَّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

ــ ليت الأمر يقتصر على ذلك يا (نور) ، ولكنه يتعداه إلى ما هو أخطر بكثير .. فلو واصلت تلك السحب انتشارها ، فسيسود العالم ظلام تام إلى الأبد ، وستفقد أشعة الشمس ، مما يؤدِّى إلى ضعف المحاصيل ، وانخفاض حاصلاتها ، مسببة مجاعة رهيبة ، مع ضعف فى الأجساد ، نظرًا لفقدها فيتامين [د] ، الذى تساعد أشعة الشمس على تكوُّنه ، أضف إلى هذا ضعف الإبصار ، و ......

قاطعه (نور) :

ــ هذا لو أن الأمر ليس غزوًا من الفضاء الخارجىّ يا سيِّدى .

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم لم يلبث أن أومأ برأسه ، مغمغمًا :

ــ بالطبع .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ أَلَمْ تجرِ أيَّة محاولات ، لمعرفة طبيعة تلك السُّحب السوداء ؟

هزَّ القائد الأعلى كتفيه ، وقال :

ـــ بالتأكيد .

ثم استدرك فى مرارة :

ـــ وكانت كلها فاشلة .

رفع (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

ـــ كيف ؟!

أجابه القائد الأعلى فى توتُّر :

ـــ لقد أطلقت (أمريكا) طائرتين نوويَّتيْن ، للحصول على عيِّنة من تلك السُّحب السوداء ، وعند اقتراب الطائرتين من السُّحب ، اختلَّت كل أجهزتهما بغتة ، وعجز قائداهما عن السيطرة عليهما ، على الرغم من أنهما من أبرع رجال السلاح الجوىّ النووىّ الأمريكى ، ولقد نجا الرجلان ، ولكن الطائرتين هوتا ، وتحطمتا تمامًا ، وكذلك حدث لبالون طقس سوفيتى .

سأله (نور) :

ـــ وماذا عن التحليل الطَّيْفِىّ ؟

أجابه القائد الأعلى فى أسف :

ـــ لقد فشل تمامًا ؛ لأن تلك السُّحب لا تعكس شعاعًا

واحدًا من الضوء ، بل تمتصه كله ، فيعجز المنظار الطيفىّ عن سبْرْ غَوْرِها .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ـــ يبدو أنها عملية متقنة للغاية .

زفر القائد الأعلى فى أسف ، وهو يقول :

ـــ هذا صحيح .

وَرَانَ عليهما الصمت لحظة ، ثم سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـــ ما أخبار فريقك يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى أسف :

ـــ نصفه عاجز يا سيِّدى ، منذ مهمَّتنا الأخيرة ، وليس هناك سواى ، وسوى (سلوى) .

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـــ وماذا عن (نشوى) ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ إننا لا نعتبرها جزءًا من الفريق يا سيِّدى .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

ـــ إنها خبيرة كمبيوتر رائعة .. ولكن لا بأس .. إنه فريقك ، وهذا شأنك .

تنهَّد (نور) ، وقال :

– الوقت يمضى بسرعة يا سيِّدى ، ومن الضرورىّ أن نكشف أمر هذا السَّحاب الأسود ، ونوقف انتشاره ، قبل أن نفقد شمسنا .

وضرب قبضته فى راحته الأخرى ، مستطردًا فى حَنَق .

– وكل مانحتاج إليه هو طرف خيط .. طرف خيط فحسب .

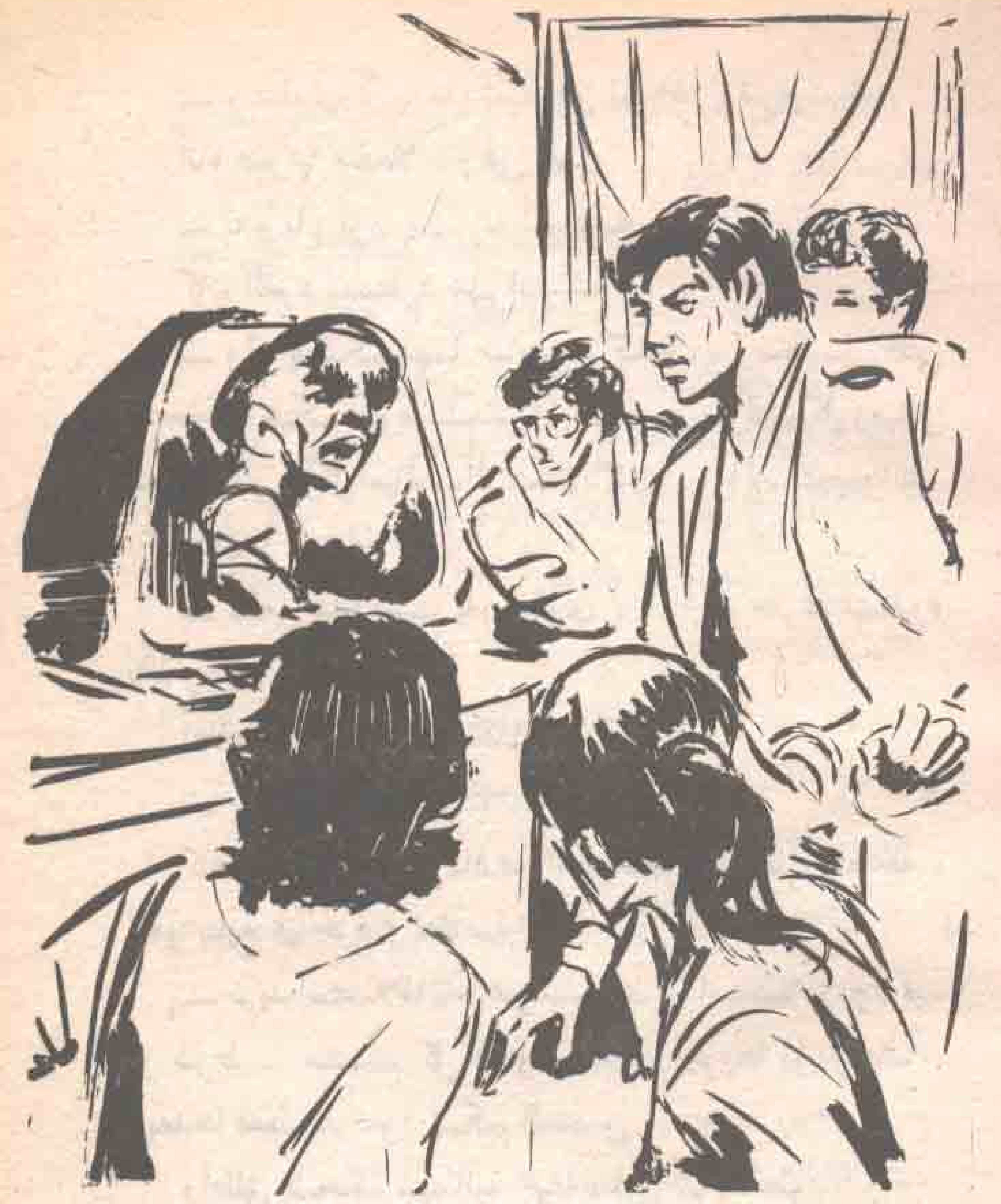
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز قوىّ ، داخل مكتب القائد الأعلى ، الذى أسرع يضغط زرَّ جهاز الهولوفيزيون ، قائلًا :

– يبدو أنَّ هناك بثًّا بالغ الأهمِّية الآن يا (نور) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهر على شاشة التليفزيون المجسَّم وجه بشع الخلقة ، لرجل يقول فى شراسة :

– إلى جميع سكان الأرض .. سنذيع إنذارنا للمرة الثانية والأخيرة .. لقد رأيتم جميعًا سحبنا ، التى تملأ سماء الكوكب ، وتحيطه بغلاف قوىّ ، يستحيل اختراقه ..

أسرع (نور) يضغط زرًّا فى ساعته ، وهو يدنيها من فمه ، قائلًا فى انفعال :



لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهر على شاشة التليفزيون المجسَّم وجه بشع الخلقة ..

ـــ (سلوى) .. هل تستمعين إلى الهولوفيزيون ؟

أتاه صوتها منفعلًا ، وهى تقول :

ـــ نعم يا (نور) .. إنه أمر بَشِع .

كان القَزَم يستطرد على الشاشة :

ـــ ولن يمكنكم مهما حاولتم ، كشف سرّ سحبنا ، التى ستحجب عنكم ضوء الشمس إلى الأبد ، وستوقف كل وسائل البثّ العالمىّ ، وكل أساليب الاتصال بالفضاء ، ما لم تستجيبوا لنا .

هتف (نور) :

ـــ تتبَّعى هذا البثّ يا (سلوى) .. أريد معرفة مصدره بأيَّة وسيلة .

أجابته فى صوت متشكِّك :

ـــ سأحاول يا (نور) .. سأحاول .

كان صوت القَزَم يزداد صرامة وعنفوانًا فى تلك اللحظة ، وهو يتابع فى حزم وغطرسة :

ـــ نريد استسلامًا تامًّا غير مشروط .. استسلامًا دون قيد أو شرط .. ستسلم كل الدول مقاليد أمورها إلى رجالنا ، وبعدها فقط قد تعود إليكم الشمس .

وأطلق ضحكة شيطانية مخيفة ، قبل أن يستطرد :

ـــ أقول قد .....

وعاد يطلق ضحكته المقيتة ، وصورته تتلاشى تدريجيًا ، فهتف القائد الأعلى :

ـــ يا إلٰهى !! .. إنها محاولة جديدة للسيطرة على العالم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ نعم يا سيِّدى .. محاولة أُخرى حمْقاء .

التفت إليه القائد الأعلى بوجه شاحب ، وهو يقول :

ـــ لا تتسرَّع بالقول هذه المرَّة يا (نور) ، فيبدو أن الرجل يمتلك زمام الأمر بالفعل .

قال (نور) فى حزم :

ـــ ليس بعد .. إن سحبه السَّوداء لم تحط بالعالم كله .. ما زال ضوء الشمس يجد منفذًا ؛ ليسقط على سطح الأرض ..

هتف القائد الأعلى فى مرارة :

ـــ لن يمضى وقت طويل ، حتى يَعْجِز ضوء الشمس عن إيجاد تلك الثغرة .

قال (نور) فى صرامة :

ـــ أو حتى ننتصر .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـــ ألديك خُطَّة ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لو أن (سلوى) نجحت فى تتبُّع ذلك البثّ ، فلن تكون لدينا خُطَّة يا سيِّدى .. بل طرف خيط .. وهذا هو الأهمّ ..

* * *

كان (أمير الظلام) غاضبًا ساخطًا للغاية ، وهو يقول لـ (مارد) :

ـ ما الذى فعلته ؟ .. أيَّة حماقة قمت بها ؟! .. ما الذى دفعك إلى بثّ ذلك الإنذار ؟

ابتسم القَزَم بخلقته البشعة ، وهو يقول :

ـ أردت أن أثبت لهم قوتنا يا سموّ الأمير .

هتف الأمير فى حَنَق :

ـ ومن قال لك إننى أرغب فى ذلك ؟ .. لقد أردت الظلام فحسب ، وهأنذا فى طريقى للحصول عليه .. وهذا يكفينى .

هتف القَزَم فى توتُّر :

ـ ولكنه لا يكفينى أنا .

حدَّق الأمير فى وجهه بدهشة ، ثم هتف فى غضب :

ـ أيها الوَقِح .. كيف تجرؤ ؟

قاطعه القَزَم :

ـ رُوَيْدك يا مولاى .. استمع إلى مستشارك الضعيف أوّلًا .

عقد الأمير حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. هاتِ ما لديك .

ابتسم القَزَم ، وتنهَّد فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ إننى أسعى لضمان ما حصلنا عليه إلى الأبد يا مولاى .

سأله الأمير فى اهتمام :

ـ كيف ؟!

أجابه القَزَم فى دهاء :

ـ طبقًا لحساباتنا ودراساتنا ، سيسود الظلام الأبدىّ العالم أجمع ، بعد عشر ساعات من الآن ، وسيَعنِى هذا أن عُزلتك الطويلة ستنتهى يا مولاى .. ولكن .....

صمت لحظة ، وهو يتأمَّل ملامح سيِّده ، وكأنه مخرج بارع ، يسعى لجذب انتباه المشاهدين ، وحبس أنفاسهم بوقفة مثيرة ، قبل أن يستطرد :

ـ ماذا لو عثر العالم يومًا على وسيلة لانقشاع سُحُبنا ؟

تراجع الأمير فى اهتمام ، وأمسك ذقنه النحيلة المدبَّبة بسبَّابته وإبهامه ، وراح يداعبها فى قَلَق ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. ماذا لو حدث ذلك ؟

لوَّح القَزَم بذراعيه ، هاتفًا :

ــ عندئذ سيعدون السُّحب ، وسيعود ضوء الشمس ليغمر الأرض .

ارتجف الأمير على نحو ملحوظ ، ولوَّح بكفِّه فى ذُعر ، هاتفًا :

ــ محال

تألَّقت عينا القزَم ببريق الظَّفَر ، وهو يقول :

ــ لذا كان من الضرورىّ أن نسيطر على مقاليد الأمور ، ونمسك بزمامها ، حتى نضمن عدم عَوْدة الشمس مرَّة أخرى .

تردَّد الأمير لحظة ، ثم أضاف :

ــ ولكنهم سيطالبون بعودة الشمس ، ثمنًا للاستسلام .

هتف القَزَم فى حماس :

ــ ومن قال إننا سنعيدها إليهم ؟

ومال نحو سيِّده ، مستطردًا فى انفعال :

ــ إن الذُّعر سيسيطر عليهم ، مع اختفاء الشمس والقمر ، والنجوم ، والسماء ، خلف غلاف سُحُبنا الأسود ، وسيستسلمون بسرعة ، ويسلِّمون رجالنا مفاتيح خزائنهم

وأسلحتهم ، وعندئذ تُصبح القوة كلها فى أيدينا ، ولن يمكنهم إجبارنا أبدًا على إعادة الشمس .

وأطلق ضحكة شيطانية مخيفة ، قبل أن يضمّ قبضته فى قوَّة ، هاتفًا :

ــ سيصبح العالم كله فى قبضتنا .

عاد الأمير يحكُّ ذقنه بسبَّابته وإبهامه ، مغمغمًا فى شُرود :

ــ نعم .. سيُصبح العالم كله فى قبضتنا .

ونهض من مقعده ، هاتفًا فى حماس :

ــ فى قبضة (أمير الظلام) .. الظلام الأبدىّ ..

* * *

ضغط (نور) زرّ ساعته ، وسأل زوجته فى انفعال :

ــ هل تتبَّعت موجة البثّ يا (سلوى) ؟

رَانَ الصمت لحظة ، قبل أن تقول :

ــ لقد أشعلت جهازى على الفور ، و .....

قاطعها فى لهفة :

ــ هل توصَّلت إلى مصدرها ؟

تردَّدت لحظة ، قبل أن تقول فى أسف :

ــ كلَّا يا (نور) .. لقد .. لقد فشلت .

امتقع وجهه ، وهو يهتف :

ــ فشلت ؟

ثم ضغط زِرَّ ساعته ، منهيًا الاتصال ، والتفت إلى القائد الأعلى ، قائلًا فى مرارة :

ــ يبدو أننا قد فقدنا طرف الخيط يا سيِّدى .

شَحُبَ وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ــ بل قُلْ فقدنا عالمنا يا (نور) .. فقدنا كوكب الأرض ..

* * *



٤ ــ طَرَف خَيْط ..

عَجَزَ (نور) تمامًا عن ابتلاع تلك المرارة ، التى توقَّفت كالغُصَّة فى حلقه ، وهو يجلس فى شُرْفة منزله ، يتابع انتشار تلك السُّحُب السوداء فى السماء ، ولم يشعر باقتراب (سلوى) منه ، إلَّا عندما غمغمت فى توتُّر :

ــ (نور) .. إننى أعتذر مرَّة أخرى .

التفت إليها بعينين حزينتين ، وابتسم ابتسامة باهتة شاحبة ، وهو يغمغم فى خفوت .

ــ لا عليك يا عزيزتى .. إنك أعظم خبراء الرَّصْد والتَّتبُّع ، فى الوطن العربىّ كله ، وما دمت قد فشلت فى تتبع ذلك البثّ ، فهذا يَعْنِى أنه ما من شخص آخر كان يمكنه أن يُفلح فى ذلك .

جذبت مقعدًا ، وجلست إلى جواره صامتة ، تتابع السُّحب ، التى منحتها شعورًا بالاكتئاب ، قبل أن تغمغم :

ــ هل قرأت آخر تقارير العلماء ، عن الظواهر المتوقَّعة ، بعد إحاطة الأُرض بذلك الغلاف الأسود ؟



وهو يجلس فى شُرْفة منزله ، يتابع انتشار تلك السُحُب السوداء فى السماء ، ولم يشعر باقتراب (سلوى) ..

هزَّ رأسه نفيًا فى صمت ، فاستطردت :

ـ إنهم يقولون إن ذلك الغلاف يحمل حتمًا تيارًا كهرومغناطيسيًّا ، وإنه سيؤثِّر فى جاذبيَّة القمر ، مما يخلّ بالظواهر المرتبطة بذلك ، كالمدّ والجَزر ، و .....

قاطعها فى ضيق :

ـ كلها نتائج بالغة السُوء .. أليس كذلك ؟

غمغمت فى حزن :

ـ هناك بعض النتائج البسيطة ، التى ظهرت بالفعل .. فلقد أصبح من المستحيل أن نشاهد هنا قنوات الهولوڤيزيون الأمريكية ، أو السوفيتية ، أو الأوروبية ، كما كان يحدث فى السابق ، و .....

قاطعها فجأة فى انفعال :

ـ ماذا تقولين ؟!

تطلَّعتْ إليه فى دهشة وقلق ، وهى تقول :

ـ إننى لَمْ أَقُل شيئًا يا (نور) .. إنه أمر بسيط للغاية ، فما دامت إشارات الأقمار الصناعية مشوَّشة ومرتبكة ، فكيف يمكن لنا أن نتابع البثّ الأمريكى أو السوڤيتى ، أو ....

عاد يقاطعها فى انفعال أشد :

— أفهم ذلك جيّدًا ، ولكن كيف صنع ذلك الوغد ما نعْجِز نحن عنه .

سألته فى دهشة وحَيْرة :

— ماذا تَعْنِى ؟

هبَّ من مقعده ، هاتفًا :

— لقد رأى العالم كله ، من أقصاه إلى أقصاه ، وجه ذلك الوغد القبيح ، الذى هدَّدنا بِحجب الشمس عنّا إلى الأبد ، فكيف أمكنه أن يبثّ رسالته إلى العالم أجمع ، دون الاستعانة بالأقمار الصناعية .

انتبهت إلى الأمر ، فعقدت حاجبيها ، وهى تقول فى انفعال مماثل :

— الوسيلة الوحيدة هى أن يتمَّ ذلك عَبْرَ شبكة إرسال أرضية ، وهى تتكوَّن من سلسلة من أبراج الاستقبال ، والتقوية ، والإرسال ، تمتد عَبْرَ جميع قارَّات العالم تقريبًا ، بما فى ذلك بعض المحطات الأرضية ، فى مناطق عائمة خاصَّة ، فى المحيطات والبحار .

هتف فى حماس :

— وهذا يَعْنِى أن من يمتلك تلك الشبكة ، قد أعدَّها

خِصِّيصًا لمثل هذا اليوم ، حينما تنقطع الاتصالات تمامًا بالأقمار الصناعية .

غمغمت فى حَيْرة :

— وكيف له أن يتنبَّأ بـ ..... ؟

بترت عبارتها بغْتَة ، وهى تهتف :

— يا إلٰهى !! .. إنه صاحب كل ذلك إذن .

صاح (نور) فى حماس :

— بلا شك .

ثم قفز إلى جهاز التليفيديو ، مستطردًا .

— ويمكننا أن نعلم كل شىء عمَّن يمتلك مثل تلك الشبكة الأرضية ، والوصول إليه فى أقصر وقت .

راح يضغط أزرار الجهاز ، وهو يُرْدف فى انفعال .

— وعندئذ قد يمكننا إنقاذ الأرض من مصيرها المُظلم .

وعقد حاجبيه ، وهو يستعيد عبارة القَزَم ، مستطردًا فى حَزْم :

— أقول قد .....

* * *

أسرعت (مشيرة محفوظ) ، صحفية أنباء القيديو الشهيرة ، تجيب نداء جهاز التليڤيديو ، وهى تهتف فى عصبيَّة :

ـ مرحبًا أيها الرائد (نور) .. أتعشَّم أن يكون ما لديك بالغ الأهمية ، إلى الدرجة التى تكفى لاستدعائى ، فى أثناء متابعتى لموضوع السُّحب السَّوداء .

أجابها (نور) فى لهفة :

ـ إنه أمر يخص نفس الموضوع ، ولكنه عاجل للغاية .

انتبهت حواسها كلها إليه ، وهى تقول :

ـ حسنًا .. ماذا لديك ؟

أجاب فى سرعة :

ـ بل أنا أسعى إلى ما لديك أنت .

هتفت فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

ـ أنا ؟!

أجاب ، قبل أن تفيق من دهشتها :

ـ نعم .. أريد بيانًا بأسماء من يمتلكون محطات بثّ أرضية عالمية .

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى اهتمام :

ـ لماذا ؟

أجابها فى صرامة :

ـ ليس الآن يا (مشيرة) .. ستعلمين كل شىء فيما بعد .

سألته فى فضول :

ـ ألهذا علاقة بأمر السُّحب ؟

صمت لحظة ، ثم أجابها فى حزم :

ـ نعم .

صاحت فى انفعال :

ـ فى هذه الحالة سأجيبك .. هناك رجل واحد يملك محطة بثّ أرضية عالميَّة ، فى العالم أجمع ، ومن العجيب أنه قد أنشأها بعد أن تم تعميم نظام شبكات الأقمار الصناعية ، ولقد كلَّفه إنشاؤها ملايين الجنيهات ، و .....

ـ اسمه وجنسيته يا (مشيرة) ؟

أغضبها أسلوبه فى مقاطعتها على هذا النحو ، إلَّا أنها أجابت :

ـ إنه مليونير مصرىّ يُعرف باسم (نادر) .. (نادر أدهم) ..

* * *

« نادر أدهم ؟! .. » ..

ردَّد الدكتور (عبد الله) الاسم فى دهشة ، وأضاف فى لهجة من يستبعد الأمر :

— ولكن (نادر أدهم) هذا قد لَقِىَ مصرعه منذ سنوات عديدة .. منذ عشر سنوات تقريبًا .

أجابه (نور) فى حزم :

— مستحيل يا سيِّدى ، لأنه قد أنشأ محطته الأرضية منذ ثمانية أعوام فحسب ، كما تؤكِّد السِّجلَّات الرَّسْميَّة .

رفع الدكتور (عبد الله) حاجبيه فى حَيْرة ، وعاد يخفضها ، مردِّدًا :

— ربَّما .

سأله (نور) فى اهتمام :

— إذن فأنت لاتثق تمامًا فى موته .

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه إيجابًا ، وقال :

— هذا صحيح .

سأله (نور) فى اهتمام :

— لماذا قلت إنه قد لَقِىَ مصرعه إذن ؟

تنهَّد الدكتور (عبد الله) ، وهزَّ كتفيه ، قائلًا :

— لقد تعرَّض (نادر أدهم) لحادث بشع ، كان من الطبيعى أن يُودِىَ بحياته ، حتى أنه ليدهشنى لو أنه ما يزال على قيد الحياة .

صمت لحظة ، فسأله (نور) فى لهفة :

— أى حادث هذا ؟

مطَّ الدكتور (عبد الله) شفتيه ، وأجاب :

— لقد سقط فى إناء يحوى حامض الكبريتيك .

امتعضت (سلوى) فى قوَّة ، وهى تهتف :

— يا إلٰهى !!

هزَّ الدكتور (عبد الله) رأسه فى إشفاق ، وقال :

— لقد تآكل جلده الخارجى كله ، ويقال إنه .....

قاطعه (نور) فى حَسْم :

— أين يمكننا أن نجده ؟

تطلَّع إليه الدكتور (عبد الله) فى حَيْرة ، ثم قال :

— لو أنه ما يزال على قيد الحياة ، فستجده فى قصره ، أو فى محطته الإذاعية .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى توتُّر :

— هذا لو أنه على قيد الحياة ..

* * *

عَبَرَت سيارة (نور) الصاروخية بوَّابة قصر (نادر أدهم) . فى (الفيوم) ، وتوقَّفت أمام باب القصر ، حيث استقبله شابٌّ هادئ ، صافحه قائلًا :

ـــ مرحبًا بك فى قصر والدى ، أيها الرائد .. ماذا تريد منِّى بالضبط ؟

أجابه (نور) فى توتُّر :

ـــ أريد مقابلة والدك لأمر عاجل .

رفع الشاب حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ والدى ؟!

أجابه (نور) :

ـــ نعم .. والدك (نادر أدهم) .

حدَّق الشاب فى وجه (نور) فى دهشة عارمة ، كما لو كان يتطلَّع إلى مجنون خطر ، فرَّ على التوِّ من معزل المرضى العقليين ، وقال :

ـــ ولكن هذا مستحيل أيها الرائد .

قال (نور) فى حزم :

ـــ ألا تسمح حالته الصحيَّة بذلك ؟

هتف الشاب :

ـــ بل قانون الأحياء هو الذى لا يسمح بذلك .

ثم مال نحو (نور) ، مستطردًا ، فى لهجة أقرب إلى السُّخْرِيَة :

ـــ لقد مات والدى منذ ثمانى سنوات أيها الرائد .

تبادلا الاثنان نظرات باردة جامدة ، قبل أن يقول (نور) فى بطء :

ـــ أَلديك دليل على ذلك ؟

هتف الشاب فى استنكار :

ـــ دليل ؟!

أُجابه (نور) فى حِدَّة :

ـــ نعم .. أُريد دليلًا حاسمًا على أن والدك قد مات .

انتزع الشاب من جيبه حافظة أوراق ، وهو يقول فى غضب :

ـــ هاك الدليل أيها الرائد .. ستجد هنا شهادة وفاة أبى ، وعقد بيع محطة الإذاعة ، قبيل أيام من وفاته ، إلى مليونير تركى ، يُدعى (صفوت حازم) ، و .....

قاطعه (نور) فجأة فى حزم :

ـــ أنت كاذب .

حدَّق الشاب فى وجهه بدهشة ، ثم هتف فى غضب :

ـــ كيف تجرؤ ؟

أمسك (نور) معصمه بغتة ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ كيف تجرؤ أنت على الكذب بهذه الصفاقة ؟ .. هل لك أن تخبرنى عن السبب الهام للغاية ، الذى يحمل شابًا على حمل شهادة وفاة أبيه فى جيبه ، بعد ثمانى سنوات من وفاة هذا الأب ، كما لو كان ينتظر أن يلقى عليه شخص ما هذا السؤال ؟

اتسعت عينا الشاب ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) فى ذُعْر ، قبل أن يغمغم فى اضطراب :

ـــ إننى أحملها دَوْمًا ، و .....

قاطعه (نور) فى سخرية :

ـــ هُرَاء .. إنك حتى لم تُتقِن اللُّعبة .

ثم اقترب بوجهه منه ، مستطردًا :

ـــ نسيت أن أخبرك أننى قد جمعت كل المعلومات اللَّازمة عن (نادر أدهم) ، قبل أن آتى إليك ، وهذه المعلومات تؤكِّد حقيقة تصوَّرت أنت أننى أجهلها .. حقيقة أن (نادر أدهم) لم يُنجب ، ولم يكن له أبناء .

جحظت عينا الشاب فى ذُعْر ، ثم دفع (نور) بعيدًا بغتة ، وانتزع من جيبه مسدَّسًا ليزريًّا ، وهو يهتف :

ـــ فلتمت إذن أيها الرائد .

وأطلق أشعة المسدَّس نحو (نور) ..

* * *





ثم دفع (نور) بعيدًا بغتة ، وانتزع من جيبه مسدسًا ليزريًا ، وهو يهتف :
ــ فلتمت إذن أيها الرائد ..

٥ ــ الاتهام ..

كان اجتماعًا طارئًا وعاجلًا لمجلس الأمن ، لم يتخلَّف عن حضوره مندوب دولة واحدة ..

وفى البداية راح مندوبا الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى يتبادلان الاتهامات ، حتى أوقفهما رئيس الجلسة فى حزم ، وقال فى صرامة :

ــ فليكفَّ الجميع عن تلك السخافات .. من الواضح أننا نواجه جميعًا خطرًا واحدًا ، وأننا قد تلقَّينا جميعًا إنذارًا واحدًا ، واختلافنا وتشاجُرنا لن يُؤدِّىَ إلَّا إلى مزيد من تعقيد الأمور ، وقد يؤدِّى إلى خسارتنا جميعًا ، وضياع الأرض .

نهض أحد الأعضاء ، يقول فى توتُّر :

ــ ولكن الإنذار لم يحدِّد مهلة لاتخاذ القرار .

أجابه رئيس الجلسة :

ــ ولكن خبراءنا يؤكدون أن الغلاف السَّحابىّ الأسود سيحيط بالأرض كلها ، قبل ثمانى ساعات ، وهذا يَعْنِى أنها المهلة الممنوحة لاتخاذ القرار .

واحتدَّ صوته ، وامتلأ بالمرارة والأسى ، وهو يستطرد :
ــ السؤال هنا هو أنوافق على الشروط أم لا ؟ .. أنقاوم ، أم نستسلم ؟
نهض عضو آخر ، يقول :
ــ وما الوسائل المتاحة لدينا للمقاومة ؟
تنهَّد رئيس المجلس ، وقلَّب كفَّيه ، قائلًا :
ــ لسنا نملك شيئًا للأسف .
سرت هَمْهَمة متوتِّرة فى القاعة ، ونهض مندوب (فرنسا) يقول فى عصبيَّة :
ــ أيَعْنِى هذا ضرورة أن نستسلم ؟ .. اعلموا أيها السادة أن دولتى ترفض ذلك .. لقد استسلمنا مرَّة ، فى الحرب العالمية الثانية ، وذاقت (فرنسا) الأمرَّيْن ، تحت الحكم النازِىّ ، ولقد قرَّر شعبها ألَّا يستسلم مرَّة أخرى فى تاريخه كله .. سيقاوم حتى النهاية .
أجابه رئيس الجلسة :
ــ لسنا هنا لنتشدَّق بشعارات جوفاء يا سيِّدى ، فالموقف كله لا يحتمل ذلك .. إننا لا نناقش حربًا عاديَّة ، وإنَّما نناقش عملية حرمان الأرض كلها .. كل الأمم ، وكل الشعوب ، وكل القبائل ، من أشعة الشمس مدى الحياة .

هتف مندوب الولايات المتحدة الأمريكية فى غطرسة :
ــ يمكننا أن نعوِّض ذلك بشمس صناعيـة ، نحن نملك التكنولوچيا اللازمة لذلك .
سأله فى اهتمام :
ــ وماذا عن انقطاع الاتصال بالأقمار الصناعية ؟
قال مندوب الاتحاد السوفيتى فى حِدَّة :
ــ لقد عاش أجدادنا وتقدَّموا ، دون أقمار صناعية ، ولن يضيرنا أن نحيا مثلهم .
قال الرئيس فى صرامة :
ــ وماذا لو تعرَّضنا إلى غزو من الفضاء الخارجى ؟ .. كيف يمكننا رصده قبل الهجوم ؟ .. أو حتى مواجهته .
هتف مندوب (اليابان) فى غضب :
ــ هل تدعُونا إلى الاستسلام ؟
هزَّ الرئيس رأسه نفيًا ، وقال :
ــ بل أدعوكم إلى مناقشة الأمر فى حكمة وتعقُّل ، حتى لا نخسر كل شىء .. إننا نناقش مصير الشعوب كلها .
نهض مندوب (بريطانيا) فى وقار ، وهو يقول :
ــ أيسمح لى الرئيس ، بأن أؤكِّد أن تلك السُّحب السَّوداء من فعل البشر ؟!

غمغم الرئيس :

ـ هذا واضح للجميع .

ابتسم مندوب (بريطانيا) فى ثقة ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة أحب أن أؤكِّد أن دولتى تعرف الدولة المعتدية ، التى تسعى للسيطرة على العالم ، ولدينا كل الأدلَّة اللازمة لذلك .

فجَّرت عبارته عاصفة من التوتُّر داخل المجلس ، وراح الجميع يتحدَّثون فى آن واحد ، ويهتفون فى عصبيَّة :

ـ ما هى تلك الدولة ؟.. اذكر اسمها .. الوقت لا يحتمل التأخير .. قُلْ لنا أيَّة دولة تلك .

ابتسم الرجل فى دهاء ، وأدار عينيه فيمن حوله ، حتى توقَّف بصره عند رجل وقور ، وقال فى حزم :

ـ إننى أتَّهم دولة هذا الرجل .

حدَّق الجميع فى وجه الرجل الوقور فى ذُهول ، قبل أن يستطرد مندوب (بريطانيا) فى حزم :

ـ أتَّهم (مصر) ..

* * *

كان (نور) يتوقَّع ، منذ أخبره الشاب أنه ابن (نادر أدهم) ، أن يحدث هذا الهجوم ؛ لذا فإنه لم يفاجئه ..

لقد رأى (نور) فُوَّهة المسدَّس اللِّيزرىّ تصوَّب إليه ، فخفض رأسه فى سرعة ومرونة ، ومال إلى اليسار ، ثم قفز جانبًا ، وتفادَى خيْطَ الأشعَّة القاتلة ، وانقضَّ على الشاب ، وهو يهتف :

ـ أيها القاتل الوغد .

ولَكَمَ الشاب بكل ما يملك من قوَّة ، فألقاه أرضًا ، وسمعه يصرخ فى ألم ورُعْب وفَزَع .

ـ النَّجدة !! النَّجدة يا رفاق !!

كالَ له (نور) لَكْمَة كالقنبلة ، وهو يهتف :

ـ اخرس أيها الوغد .

رأى ثلاثة من أسنان الشاب تقفز خارج فمه ، مع دفقات من الدم ، ورأى عينيه تجحظان ، ومسدَّسه اللِّيزرىّ يسقط من يده ، قبل أن يَهْوِىَ فاقد الوعْىِ ..

وفجأة ، اندفع من داخل القصر ستة رجال ، يحملون بنادق اللِّيزر ، وبمرآهم فقط أدرك (نور) أنه يسير فى الطريق الصحيح .. الطريق إلى الشيطان ..

* * *

كان ظهور الرجال الستة مفاجأة ..

ولكن ظهور (سلوى) المباغتِ كان دُرَّة الحفل ..

لقد رفع الرجال الستة فُوَّهات بنادقهم اللّيزريَّة ، نحو (نور) ، ولكن ثلاثة منهم شهقوا فى ذُهول ، حينما انطلقت ثلاثة خيوط ليزريَّة من السيارة ، فأَطاحت ببنادقهم فى لحظة ..

وهنا انتبهوا إلى وجود (سلوى) ..

لقد كانت هناك منذ البداية ..

منذ وصلت سيارة (نور) إلى القصر ..

وكان (نور) يصنع منها خطًّا دفاعيًّا ثانيًا ..

ولقد نجحت خُطَّته ..

لقد فوجئ الرجال الستة بظهورها المباغت ، وأفقدتهم هى ثلاثة من بنادقهم اللّيزريَّة ، بثلاث طلقات مُحْكَمَة من مسدَّس (نور) ، الذى انحنى فى سرعة ، والتقط مسدَّس الشاب ، وأطلق منه ثلاث خيوط إشعاعية أخرى ، أطاحت ببنادق الرجال الثلاثة الآخرين ..

وكان يتصوَّر أن الأمر سينتهى هنا .

ولكن هَيْهَات ..

لم يكد الرجال الستة يفقدون أسلحتهم ، حتى استحالوا فجأة إلى وحوش كاسرة ..

كان من الواضح أن هزيمتهم تُعْنِى لهم شيئًا أكثر رُعْبًا من القتل ..

وفى هجوم واحد ، انقضُّوا على (نور) ..

ولم يَعُدْ أمام (نور) ، الذى يكره القتل والدمار ، سوى أن يدافع عن نفسه ..

وعن حياته ..

وانطلق خيط قاتل ، من فُوَّهة مسدَّس (نور) ، واخترق جمجمة أحد الرجال الستة ، على حين أصابت أشعة مسدَّس (سلوى) قلب الثانى ، وأطلقت هى أشعة ثانية ، غاصت فى عنق الثالث ، وأطلق (نور) طلقة أخرى ، أردت الرابع قتيلًا ..

ولكن هذا لَمْ يوقف الرجلين الباقيين ..

لقد واصلا القتال فى شراسة لا مثيل لها ، فأطاح أحدهما بمسدَّس (نور) بركلة قويَّة ماهرة ، على حين انقضّ الثانى على (نور) ، وأحاط وسطه وذراعيه بساعدين فولاذيَّين ..

وشعرت (سلوى) بالذُّعر والجَزَع ، وهى تَعْجِز عن إطلاق أشعة مسدَّسها اللّيزرىّ ، خشية أن تصيب (نور) ..

ولم يستسلم (نور) ..

لقد دفع جسده إلى الخلف فى عنف ، ورفع ساقيه ، ليركل الرجل الواقف أمامه بكلتا قدميه ، ركلة قوية عنيفة ، ألقت الرجل إلى الوراء ، قرابة الأمتار الثلاثة ..

وعاد (نور) يهبط على قدميه ، وينثنى بجسده المرن إلى الأمام ، فألقى ذلك الذى يكبِّل حركته ، من فوق ظهره إلى الأرض ..

وبقبضة كالقنبلة ، أطاح (نور) بأحد الرجلين ، وحطَّم فكَّه ، ثم قفز ملتقطًا مسدَّسه اللِّيزرىّ ، وصوَّبه إلى صدر الرجل الباقى ، هاتفًا :

ـ قِفْ .. لقد انتهت اللُّعبة ..

هتف بها فى صرامة شديدة ، على الرغم من أنه كان يلهث تعبًا وانفعالًا ، فتراجع الرجل ، وتردَّد لحظة ، قبل أن يعقد حاجبيه ، ويهتف فى إصرار :

ـ مُحَال .

قفز (نور) إلى الخلف ، وهو يهتف :

ـ حركة واحدة وأقتلك على الفور ، دون رحمة أو شفقة .

تقدَّم الرجل نحوه ، وهو يقول :

ـ سيكون موتًا سريعًا على الأقل .

ثم قفز بغتة نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وتفادَى انقضاضة الرجل ، ثم لَكَمَهُ فى معدته بكل ما يملك من قوَّة ، ولم يكد الرجل ينثنى ، من هَوْل اللَّكْمَة ، حتى هوَتْ قبضة (نور) على مؤخرة عنقه ، فأسقطه فاقد الوعْىِ ..

واندفعت (سلوى) من السيَّارة ، وألقت نفسها بين ذراعَىْ (نور) ، هاتفة :

ـ يا إلٰهى !! .. لقد كدت أموت من شِدَّة خوفى عليك يا (نور) .

غمغم ، وهو يضمها إلى صدرِه فى إشفاق :

ـ لقد تحوَّل زوجك إلى قاتل يا (سلوى) .

استكانت بين ذراعيْه ، وهى تقول فى خُفوت :

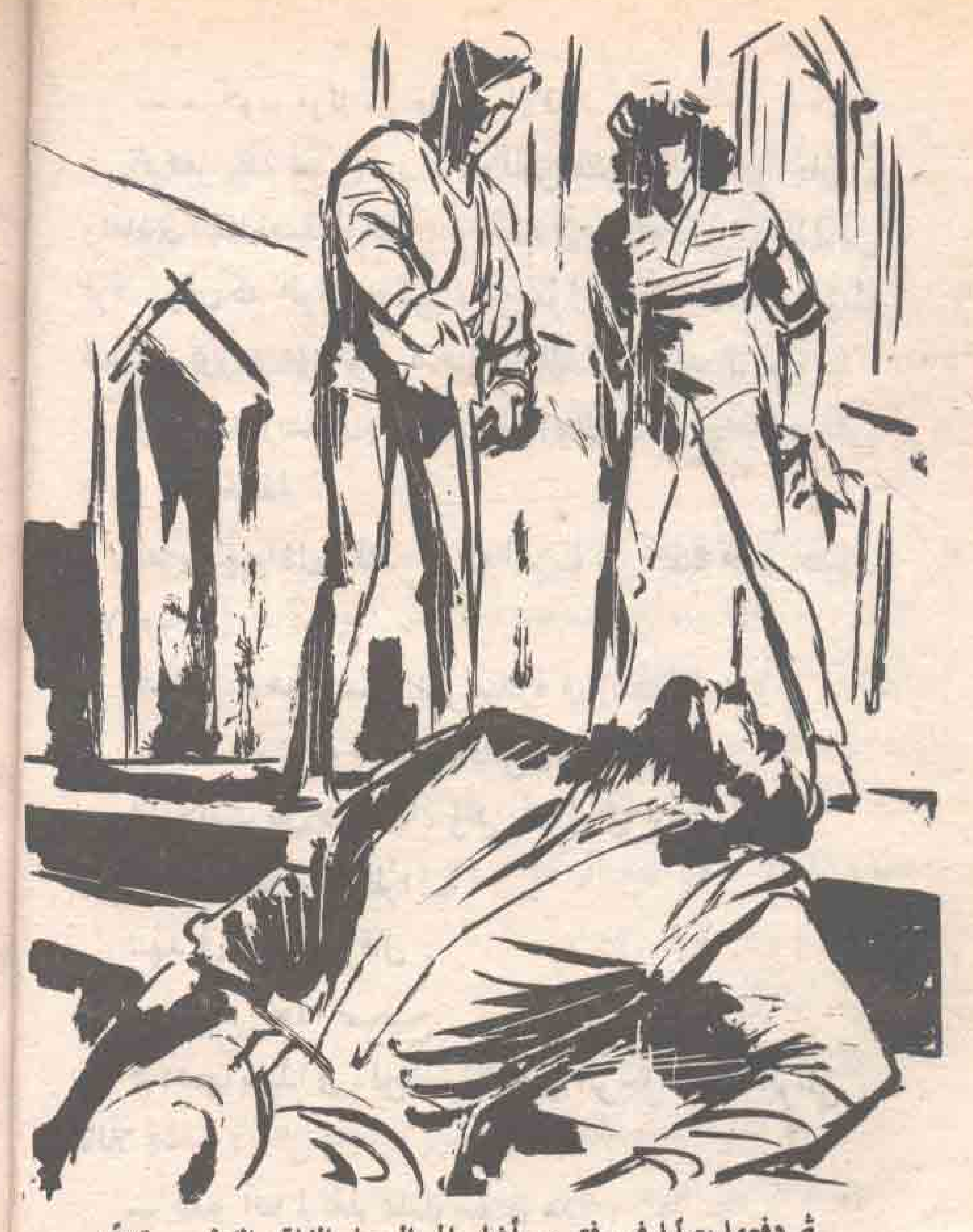
ـ لقد كنت مضطرًّا ..

تنهَّد فى عُمْق ، وقال :

ـ نعم .. هذا صحيح .

ثم دفعها بعيدًا فى رفق ، وأشار إلى الرجل الفاقد الوَعْىِ ، قائلًا :

ـ يبدو أننا لم نعُدْ نملك سوى هذا .



ثم دفعها بعيدًا فى رفق ، وأشار إلى الرجل الفاقد الوَعْى ، قائلًا :
— يبدو أننا لم نعُد نملك سوى هذا ..

سألته فى اهتمام :

— أتظنَّه سيقودنا إلى شىء ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

— حتمًا .

ثم أشار إلى داخل القصر ، مستطردًا :

— مالم نعثر على هذا الشىء أوَّلًا .

سألته فى قلق :

— وما الذى تتوقَّع أن تعثر عليه ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

— مدخل سِرِّىّ .

هتفت فى دهشة :

— ماذا ؟

أجاب فى هدوء :

— مدخل سِرِّىّ، يقودنا إلى مصدر تلك السُّحب السَّوداء يا (سلوى) .

ورفع بصره ، وشرد لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

— أو إلى المَوْت ..

★ ★ ★

٦ ـ المخبأ السِّرِّىّ ..

احتقن وجه المندوب المصرىّ فى مجلس الأمن ، ونهض مُختنقًا ، يقول فى غضب ، مشيرًا إلى المندوب البريطانىّ :

ـ مهلًا أيُّها السَّادة .. إن دولتى ترفض أيَّة إهانات هنا ، حتى ولو وجهها مندوب دولة كبرى كـ(بريطانيا) .

قال المندوب البريطانىّ فى برود :

ـ قلت منذ البداية إننا نمتلك الأدِلَّة .

هتف المندوب المصرىّ فى غضب :

ـ أيَّة أدلَّة ؟! .. العالم كله يفتقر إلى ما تسميه أنت بالأدِلَّة .. الجميع هنا يعلمون أن دولتك تكره دولتى غريزيًّا ، منذ أذَقْناكم مرارة التخلِّى عن إحدى مستعمراتكم الكُبْرَى ، وأقصد بها وطنى ، وبعد أن .....

قاطعه المندوب البريطانىّ ساخرًا :

ـ كان هذا فى القرن الماضى يا عزيزى .. نحن الآن فى القرن الحادِى والعشرين ، حيث تسود لغة المنطق أى حِوار ، و .....

هتف المندوب المصرىّ فى غضَب :

ـ أتحدَّاك أن تثبت تورُّط دولتى ، فى مثل هذا العمل القذِر .

أجابه المندوب البريطانىّ فى مزيج من الحزم والسُّخْرِيَة :

ـ قَبِلت التحدِّى يا صديقى .

كان الحديث يدور باللغة العالميَّة (الإسبرانتو)(*) ، التى يفهمها الجميع ، فاحتبست الأنفاس ، وتعلَّقت أبصار الجميع بشفتَىِ المندوب البريطانىّ ، الذى أخرج من حقيبته خريطة جوِّيَّة ، وهو يقول :

ـ راجعوا معى أيُّها السَّادة خرائط الطقس الأخيرة ، التى أرسلتها أقمار مراقبة الطقس ، قبل أن يصيبها الارتباك ، وتتوقَّف عن البثّ .. إن هذه الخرائط تشير إلى أن أوَّل السُّحب السَّوداء قد ظهرت فوق (مصر) ، ثم انتشرت إلى جميع أنحاء العالم .. بل إن تلك السُّحُب تتخذ مسارًا كُرَوِيًّا ، من مركز داخل (القاهرة) بالتحديد .

(*) الإسبرانتو : لغة عالمية ، ابتدعها (زامنهوف) ، واتجه فيها إلى التبسيط ، واشتقَّ معظم قواعدها وألفاظها من اللغات الأوروبيَّة ، ولقد لاقت النجاح ، واعترفت بها بعض الحكومات ، ويؤكد البعض أنها ستكون لغة السياسة فى المستقبل .

هتف المندوب المصرىّ :

ــ هذا ليس دليلًا .

عقد المندوب البريطانىّ حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ دولتى تعتبره كذلك ، وأُحبّ أن أحذّرك ، وأُوجّه إليك هذا الإنذار ، من هنا .. من مجلس الأمن .

واكتسى صوته بنبرة حازمة قويّة ، وهو يستطرد :

ــ لو لم تنقشع تلك السُّحُب ، خلال الساعات الخمس القادمة ، فستضطر دولتى إلى إعادة التاريخ مرّة أخرى .

وارتجت القاعة بصوته ، وهو يردف :

ــ سنحتلّ (مصر) ..

* * *

تطلّع (نور) إلى ساعته ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ الوقت يمضى بسرعة .. لَمْ يَعُدْ أمامنا سوى خمس ساعات ، على الموعد الذى حدّده الخبراء ، لاكتمال إحاطة السُّحُب السّوداء بالأرض ، ولم نجد بعدُ المدخلَ السّرّىّ هنا .

قالت (سلوى) فى توتُّر :

ــ ربّما لا توجد هنا أيّة مداخل سِرّيّة يا (نور) .

هتف فى حِدّة :

ــ إننى أرفض هذا المنطق .

رأى الدهشة تطلّ من عينيها لحِدّته ، فاستطرد :

ــ أعْنِى أن استنتاجى يخالف ذلك ، فلو أن هذا القصر خال من المداخل السّرّيّة ، أو المعلومات ، التى قد تقودنا إلى أمر خطير ، ما كان من الضرورىّ أن يستقبلنا رجل زائف ، ويدَّعِى أنه ابن صاحب القصر ، أو يهاجمنا ستة رجال فى استماتة .

غمغمت فى استسلام :

ــ هذا صحيح :

ثم عادت تقول فى إصرار :

ــ ولكن هذا لا يؤكّد أننا سنجد هنا حتمًا مدخلًا سرّيًّا .

قال فى حزم :

ــ ولا ينفيه .

غمغمت فى ضَجَر :

ــ هذا صحيح .

ثم ألقت جسدها فوق أقرب المقاعد إليها ، مستطردة :

ــ ولكن عليك أن تبحث عنه وحدك ، فقد أنهكنى البحث .

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ــ سأواصل البحث عنه ، حتى آخر عمرى ، و .....

قاطعه فجأة صوت غاضب يقول :

ــ إذن فقد انتهى بحثك .

استدار مع (سلوى) إلى مصدر الصوت ، ورأيا خيطًا من أشعة اللّيزر يتّجه نحو هدف مضمون ..

نحوه ..

* * *

« خمس ساعات ، ونملك العالم » ..

قالها (أمير الظلام) فى بطء وخُفوت ، وهو يسترخى فى مقعده تمامًا ، فتألّقت عينا القَزَم ، الذى يقف إلى جوار المقعد ، وقال فى شراهة :

ــ ونحكمه .

ابتسم (أمير الظلام) ابتسامة خفيّة ، ورمق القَزَم بنظرة جانبيّة سريعة ، قبل أن يغمغم :

ــ قُل لى يا عزيزى (مارد) .. هل راقَ لك سِوار العُنُق ، الذى أهديته لك ؟

تحسَّس (مارد) ذلك السّوار الرقيق ، المحيط بعنقه ، والمصنوع من الذهب الخالص ، وقال :

ــ كثيرًا يا مولاى .. شكرًا لك .

كان يكره سِوار العُنُق ذلك فى الواقع ، فقد كان يبدو له أشبه بطَوْق يحيط عُنُق حيوان أليف ..

وربَّما كان هذا ما قصده الأمير ..

ربَّما كان هذا ما يعنيه ..

لقد أُهدى إليه هذا السّوار ، ليؤكّد سيطرته عليه تمامًا .

ليجعل منه كلبًا أليفًا ..

وكان (مارد) يبغض هذا السّوار ، كما لم يبغض شيئًا من قبل .. ولكنه يرتديه ..

يرتديه ليؤكّد لسيِّده أنه تابعه المخلص ..

تابعه الوفىّ ..

وفى هدوء ، مدَّ (أمير الظلام) يده ، وتحسَّس الطَّوْق الذهبىّ ، المحيط بعنق (مارد) ، ثم ابتسم ، قائلًا :

ــ ستحصل فقط على ما أمنحك إيّاه يا (مارد) .. أليس كذلك ؟

خفض (مارد) عينيه ، وبذل جهدًا ؛ ليخفى نظرة المَقْت فيهما ، وهو يجيب فى خُضُوع تام :

ــ حتمًا يا مولاى .. حتمًا .

ثم اعتدل بغتة ، وعقد حاجبيه فى شِدَّة ، فسأله الأمير فى اهتمام :

ــ ماذا هناك ؟

أجابه القَزَم فى قلق :

ــ الأجهزة التى تحرس المدخل السِّرِّىَّ ، تشير إلى وجود اضطرابات حوله .

هتف الأمير فى قلق :

ــ اضطرابات ؟!

أجابه القَزَم :

ــ نعم .. ربما كانت مشاجرة عاديَّة ، بين أفراد طاقم الحراسة ، بعضهم وبعض ، وربما كانت ..

بتر عبارته بغتة ، على نحو مُقْلِق ، فسأله الأمير فى توتُّر :

ــ كانت ماذا ؟

اعتدل القَزَم ، وقال :

ــ لا شىء يا مولاى .. اطمئن .. سأذهب لتفقُّد المكان .

وابتسم فى هدوء ، مستطردًا :

ــ اطمئنّ .. لن يدخل إلى هنا إلَّا الشيطان .. الشيطان بنفسه .

* * *

كان ذلك الحارس الأخير ..

كان قد استعاد وعْيه ، وإصراره على منع (نور) و (سلوى) ..

ولكنه كان يترنَّح ..

كان قد استعاد وعْيه ، ولكنه لم يَسْتَعِدْ توازُنه بعدُ ..

وهذا ما أنقذ حياة (نور) ..

لقد تجاوزه خيط بندقيَّة اللِّيزر بسنتيمتر واحد ، وأصاب الحائط من خلفه ..

وبسرعة خارقة ، واستجابة جيِّدة ، مال (نور) جانبًا ، وانقضَّ على الحارس الأخير ، قبل أن يُطلق دفقة ليزر أخرى ..

وبركلة قويَّة ، أطاح ببندقيَّة الليزر ..

وبلكمة كالقنبلة ، أطاح بالرجل نفسه ..

وفوجئ الحارس بنفسه ملقًى أرضًا ، و (نور) يَجْثُم على صدره ، ويقول فى صَرامة شديدة :

ــ لقد خسِرْتَ يا رجل .

قاوم الحارس فى شراسة ، وهو يصرخ :

ــ مستحيل .. إنك لن تهزمنى .

قال (نور) فى حزم ، وهو يقيد حركته تمامًا :

ــ لقد هزمتك بالفعل ، وسترشدنى حتمًا إلى المدخل السِّرِّىّ .

صاح الرجل فى ثورة :

ــ مستحيل ! .. إننى أُفضِّل الموت .

قال (نور) فى صرامة :

ــ سأجبرك على طاعة أوامرى .

هتف الرجل :

ــ مُحَال .. الموت أفضل من مصير الخائن فى عالَمنا .

وفجأة ، جمع الرجل كل قوّته ، ودفع (نور) فى صدره ، صارخًا :

ــ الموت أفضل .

وقفز واقفًا على قدميه ، ثم انقضَّ على (نور) ، مزمجرًا فى وحشيَّة ، ولكن (نور) انحنى ، وتفادَى لَكْمَة الرجل ، وحمله فوق ظهره ، ثم اعتدل دَفعة واحدة ، وألقاه نحو الحائط فى عُنف ..

وارتطم الرجل بالحائط ..

وهَوَى ..

ومع سقوطه ، حدث أمر يفُوق الوصف ..

تحرَّك جزء من الحائط ، كاشفًا فجوة ضخمة ..

لقد أُصاب الرجل المدخل السِّرِّىَّ ، دون قصد ..

وانفتح المدخل ..

وتراجع الرجل فى ذُعْر ، وهو يهتف فى ارتياع :

ــ يا للشيطان !! .. سيظنُّون أننى أنا الذى أُخبرتكم .. سيظنُّون ذلك .

هتف به (نور) :

ــ لن نخبر أحدًا ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، كان الرجل قد اختطف سيفًا معلَّقًا على الحائط ، وهو يصرخ :

ــ لن ألقى عقاب الخائن .

صاح به (نور) :

ــ ماذا ستفعل أيُّها التَّعِس ؟

وصرخت (سلوى) فى رُعْب وارتياع ، فلقد غرس الرجل السَّيف ..

غرسه فى قلبه تمامًا ..

* * *



ومع سقوطه ، حدث أمر يفُوق الوصف ..
تحرَّك جزء من الحائط ، كاشفًا فجوة ضخمة ..

٧ ــ الأَعْماق ..

هبَّ المندوب المصرىّ من مقعده فى حِدَّة ، وصاح فى وجه المندوب البريطانىّ فى غضب :

ــ ماذا تقول أيها الرجل ؟.. كيف تجرؤ على التهديد باحتلال بلدى ؟

صاح المندوب البريطانىّ فى صَرامة :

ــ لست أُهدِّد .. إننى أُنذر .

هتف المندوب المصرىّ :

ــ وأنا أرفض أن تُوَجِّه أيَّة دولة مثل هذا التحذير لدولتى ، تحت سقف مجلس الأمن .

قال رئيس الجلسة فى صرامة :

ــ أنا أيضًا أرفض ذلك .

نهض المندوب الفرنسىّ ، وهو يقول :

ــ أمَّا أنا ، فأُعلن تأييد بلادى للموقف البريطانىّ ، واشتراكنا معهم فى هذا الإنذار .

هبَّ المندوب الأمريكى قائلًا :

ــ وأنا أيضًا .

وهتف المندوب السوفيتى :

ــ ولأوَّل مرَّة نوافق الأمريكيين على مبدإ واحد .

قال المندوب المصرىّ فى غضب :

ــ أيَعْنِى هذا أنكم جميعًا تهدِّدون باحتلال بلادى ؟

أجابه المندوب السوفيتى فى صَرامة :

ــ وبقبضة رجل واحد .

لوَّح المندوب المصرىّ بذراعه فى غضب ، هاتفًا :

ــ إنكم تعيدون قصَّة العدوان الثلاثىّ إذن ، وتطوِّرون الأمر إلى عدوان رباعىّ هذه المرَّة .

قال المندوب البريطانىّ فى سخرية :

ــ مع اختلاف بسيط .. فلن يكون هناك إنذار أمريكىّ سوفيتى ينقذكم هذه المرَّة ، كما حدث فى عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين .

هتف المندوب المصرىّ :

ــ ولكن هناك إرادتنا وقوتنا .

قال البريطانىّ ساخرًا :

ــ فلتعاونكم على النصر إذن .

هتف رئيس المجلس فى صرامة :

ــ كَفَى أيها السادة .. إنه ليس مجلس حرب .

نهض مندوب (اليابان) ، يقول فى حزم :

ــ بل هو كذلك يا سيِّدى .. إننا جميعًا نطالب (مصر) بإثبات براءتها ، أو مواجهة العالم أجمع .. هذا هو قرارنا النهائى يا سيِّدى ..

★ ★ ★

أخفت (سلوى) عينيها فى رُعْب ، وهى تهتف :

ــ (نور) !! لقد انتحر الرجل .. لقد قتل نفسه .

ضمها (نور) إلى صدره فى إشفاق ، وهو يقول :

ــ لا تتطلَّعى إليه يا (سلوى) .. يبدو أن هؤلاء الأوغاد يتَّبِعون مبدأ (الهاراكيرى)(*) .

ثم قادها نحو المدخل السِّرِّىّ ، مستطردًا :

ــ فلنركِّز كل جهودنا على ذلك المدخل ، الذى سيقودنا إلى حلّ اللُّغز كله ، وإنقاذ الأرض .

(*) الهاراكيرى : انتحار شخص ، يستخدم فيه المنتحر سيفه الخاصّ ، لبقر بطنه ، إعلانًا عن هزيمته ، أو خيانته لمبادئ الشرف ، وهو أسلوب اخترعه فرسان (اليابان) القُدامَى .

سارت معه ، وهى ترتجف ، وغمغمت فى خوف :

ـــ (نور) .. ماذا سنجد هناك ؟

هزَّ رأسه فى هدوء ، مغمغمًا :

ـــ لست أدرى .

ثم أضاف فى خُفُوت :

ـــ ولكنه شىء شِرِّير بالتأكيد .

غمغمت فى خوف :

ـــ (نور) .. إنك تخيفنى .

ربَّت على كتفها ، قائلًا :

ـــ اطمئنّى .. إننى معك .

عَبَرَا المدخل السرىَّ ، فواجهتهما قاعة ضخمة مُظلمة ، غمغمت (سلوى) ، وهما يدلفان إليها :

ـــ ما هذا بالضبط ؟

التقط (نور) من حزامه مصباحًا يدويًّا ، وهو يقول :

ـــ إنه المدخل السِّرِّىّ .. فهذه القاعة تحوى بابًا فى نهايتها ، ولا ريب أنه يقود إلى ما نبحث عنه .

اتجها نحو الباب ، ومدَّ (نور) يده نحوه ، مستطردًا :

ـــ استعدّى يا عزيزتى .. سنواجه الموقف الآن ، و .....

وفجأة ، ساد الظلام التام ..

لقد أُغلق المدخل السِّرِّىّ ..

أُغلق خلفهما تمامًا ..

وشهقت (سلوى) فى ذُعر ، قبل أن تهتف :

ـــ (نور) .. إننا لا نعلم كيف يتمّ فتحه .

ربَّت على كتفها مطمئنًا ، وهو يقول :

ـــ هذا لا يهم يا عزيزتى ، فعندما نعبُر ذلك الباب ، سنواجه الخطر الحقيقىّ ، وعندئذ قد لا يَعْنِينا كثيرًا كيف نخرج من هنا .

أشعل مصباحه اليَدوِىّ ، وهى تغمغم فى خَوْف :

ـــ أتعْنى أننا لن نعود ؟

صمت لحظة ، ثم قال :

ـــ بل أعْنِى أننا لن نعود من هنا .

ثم فتح الباب ..

كان هناك سُلَّم عميق خلف الباب ..

سُلَّم تقُود درجاته إلى الأعماق ..

أعماق مُظلمة ..

وارتجفت (سلوى) ، وهى تغمغم فى توتُّر :

ـ (نور) .. هذا يُذكّرنى بالسّتار الأسْوَد (*) .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أظن أن الموقف متشابه يا (سلوى) .. فنحن ننتظر لقاء الشيطان هذه المرّة أيضًا .

قالها ، وساد الصّمت بينهما تمامًا ، ودون أن يتبادلا نظرة واحدة ، أو حرفًا واحدًا ، راحا يهبطان إلى الأعماق ..

إلى المجهول ..

* * *



(*) راجع قصة (الستار الأسود) ، المغامرة رقم (٧٠) .

٨ ـ لقاء الشياطين ..

بدا ذلك السُلّم وكأن لانهاية له ..

كانا يهبطان ..

ويهبطان ..

ويهبطان ..

دون أن يصلا إلى نهايته ..

وأخيرًا ، لاح لهما القرار ..

كان عبارة عن قاعة أخرى ضخمة ، تحوى أيضًا بابًا واحدًا ..

ووقف الاثنان فى منتصفها فى حَيْرة ، حتى قال (نور) :

ـ يبدو أن مصمّم ذلك الدّهليز السِّرّىّ لا يترك لمن يدخله الخيار ..

فهناك دَوْمًا طريق واحد ، وباب واحد ..

قالت بصوت مرتجف :

ـ هذا يَعْنِى إما التقدُّم ، أو التقهقر .

أجابها فى حزم :

ـ كلّا .. بل يَعْنِى إمّا التقدُّم أو الفشل .
ودفع البابَ فى حزم ، فأضافت هى فى خوف :
ـ أو الموت .
لم يُعَقِّب ، وتطلَّع فى اهتمام إلى ذلك الممرّ ، الذى يقود إليه الباب ، والذى يمتدّ إلى عمق كبير ، وغمغم :
ـ يبدو أن هذا هو الطريق ..
سألته فى خوف ، وهى تنقّل بصرها بين الأبواب المتناثرة على الجانبين :
ـ (نور) .. أَلَمْ تَلْحَظْ أن القاعدة قد اختلَّت هنا ؟.. هناك عدة أبواب ، وعدة اختيارات .
أجاب فى حزم :
ـ سنسير فى خطٍّ مستقيم .
سارت إلى جواره ، وهى تتشبَّث بذراعه ، وراحت تتطلَّع إلى الأبواب المغلقة على الجانبين فى خوف ، حتى عَبَرَاها فى سلام ، فزفرت فى ارتياح ، وهتفت :
ـ يا إلهى !!.. لَمْ أتصوَّر أبدًا أننا سنعبُره فى سلام .
أشار إلى الباب ، الذى يواجههما ، وهو يقول مبتسمًا :
ـ وهناك أيضًا باب واحد ، واختيار واحد .

أمسك مِقْبَض الباب ، وأداره فى حزم ..
ودار المِقْبض ..
ولكن الباب لم يُفتح ..
لقد بَقِىَ مغلقًا ، وفُتحت كل الأبواب الأخرى ..
فتحت دفعة واحدة ..
ومن خلفهما تصاعدت زمجرة مخيفة ..
زمجر قطيع من الذِّئاب ، بعدد الأبواب ..
والتفتا فى ذُعْر ، وواجها الأنياب الحادَّة .. الجائعة ..

* * *

امتقع وجه المندوب المصرىّ ، وهو يقول فى حِدَّة :
ـ إنكم ترتكبون جريمة ، فى حقِّ ميثاق الأمم المتحدة أيُّها السَّادة .
عقد الرئيس حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :
ـ هذا رأيى أيضًا .
قال مندوب الولايات المتحدة الأمريكية فى صرامة :
ـ إننا نصرُّ جميعًا على أن (مصر) هى التى ترتكب الجريمة أيها الرئيس .



أمسك مِقْبَض الباب ، وأداره فى حزم ..
وأدار المِقْبَض .. ولكن الباب لم يُفتح ..

هتف مندوب (مصر) فى غضب :

ـ مهلًا أيها السَّادة .. إنكم تضيعون وقتًا ثمينًا فيما لا ينفع .. إن (مصر) لَمْ تكن أبدًا دولة محتلَّة ، أو استعماريَّة ، أو ساعية للسيطرة .. والتاريخ يؤكِّد أقوالى تمامًا .

صاح المندوب السوفيتى :

ـ الماضى ليس دليلًا على المستقبل .. انظر إلينا مثلًا .. لقد كان كل تاريخ دولتى يزخر بالمُخْزِيات ، أيام عائلة (رومانوف) ، التى حكمت (روسيا) قبل الثورة البلشيفية ، ثم ها هو ذا تاريخنا يحمل كل الشرف والفخار ، بعد أن أصبحنا الاتحاد السوفيتى .

عقد المندوب المصرىّ حاجبيه فى صرامة ، وقال :

ـ ولكننى أُصرُّ على أننا لسنا المعتدين .

ثم أدار عينيه بين الوجوه ، وهو يقول فى حزم :

ـ وسأثبت ذلك .

وضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى غضب :

ـ سأثبته بالبراهين القاطعة ، حتىَ أن أحدكم لن يجرؤ على الاعتراض .. لن يجرؤ أبدًا .

* * *

صرخت (سلوى) فى رُعب ، وهى تتطلّع إلى عيون الذِّئاب الوحشية ، وأنيابها البارزة ، والتصقت بـ (نور) ، وهى تقول فى هَلَع :

ــ لن يمكننا مواجهة ذلك القطيع كله يا (نور) .. سيفترسنا حتمًا .

رفع مسدّسه اللّيزرىّ فى وجه القطيع كله ، وهو يقول فى خُفُوت :

ــ هذا يتوقَّف على مقاومتنا يا (سلوى) .

هتفت وهى تبكى فى رُعْب :

ــ أتظن أنك ستوقف قطيعًا كاملًا بمسدّس واحد ؟

أجابها فى حزم :

ــ نعم .

ثم أزاحها خلفه ، مستطردًا فى صرامة :

ــ ابذلى أنت أقصى جهدك لفتح الباب ، واتركى لى مهمَّة قتالهم ..

غمغمت فى رُعْب :

ــ (نور) .. لا يمكننى أن .....

هتف بها :

ــ هيَّا .

وكأنما كان هتافه إشارة بدء ..

فقد زمجر القطيع كله ..

وهجم ..

★ ★ ★

كان صراعًا بين الإنسان والحيوان ..

صراعًا وحشيًّا عنيفًا ..

وكان على (نور) أن يبذل أقصى جهده ..

وأن يقاتل ..

يقاتل بكل شراسة ..

وانطلق مسدّس (نور) اللّيزرىّ ..

وانطلقت أشعته القاتلة ..

وسقطت الذِّئاب ..

كانت تهاجم فى وحشية وشراسة ، وتُخمِش (نور) بمخالبها وتقاتل لتغرس أنيابها فى جسده وعنقه ، وهو يطلق أشعته على رءُوسها ..

وانغرست الأنياب فى ذراعيه ..

وغاصت المخالب فى ساقيه ..

وهو يقاتل فى شراسة لا مثيل لها ..
وبدا الأمر أشبه بقتال وحشى ..
وصرخت (سلوى) :
ـــ الباب لا يُفتح يا (نور) .
صرخ وهو يقاتل فى شراسة :
ـــ حاولى يا (سلوى) .. حاولى ..
وفجأة ، انفتح الباب ..
وسقط الاثنان خلفه ..
وفجأة أيضًا ، أغلق أحدهم الباب فى وجه قطيع الذّئاب ..
واتسعت عيون (نور) و (سلوى) فى ذُهُول ، وتناهَى إلى مسامعهما صوت زمجرة القطيع الهائج ، والمخالب التى تضرب الباب ، والأنياب التى تخوص فى الهواء ، قبل أن تغمغم (سلوى) :
ـــ ماذا حدث ؟
هتف بها (نور) فى حرارة :
ـــ حدث أنك قد نجحت يا (سلوى) .. لقد فتحت الباب .
غمغمت فى ذُهُول :
ـــ ولكننى لم أفعل .

حدّق فى وجهها بدهشة ، قبل أن يهتف :
ـــ مَنْ فعل إذن ؟
تلفّتت حولها فى خوف ، وهى تقول :
ـــ لست أدرى .. لقد خُيّل إلىّ أنّ يدًا قد جذبت الباب فى عُنْف ، ثم أغلقته خلفنا .
تراجع هاتفًا فى دهشة :
ـــ ماذا ؟!
ثم تلفّت حوله بدوْره ، قبل أن يقول فى توتُّر :
ـــ لقد نقَلَنا شخص ما ، أو شىء ما إلى هذا الممرّ ، الذى يتميَّز عن الأوَّل بوجود تلك الإضاءة الخافتة ، التى تنبعث من سقفه ، والتى تسمح بالرؤية فى صعوبة ، وبوجود بابين فى نهايته ، بدلًا من باب واحد .
سألته فى خوف :
ـــ وما الذى يَعْنيه هذا ؟
أجابها فى توتُّر :
ـــ إنه يَعْنِى أن اللُّعبة ستستمرّ حتمًا يا عزيزتى .. فلم يَعُد هناك مجال للتراجع .. تلك الذّئاب ثائرة خلفنا ، تنتظر تقهقرنا لتنقضّ علينا ، وتلتهمنا التهامًا ، وليس أمامنا سِوَى مواصلة الطريق ، واختيار باب من البابين .

سألته فى توتُّر :

ــ أيُّهما ؟

أجابها فى حزم :

ــ سَلِى صاحب اللُّعبة .

غمغمت فى دهشة :

ــ اللُّعبة ؟!

وفجأة ، انبعث صوت جَهْوَرِىّ ، يقول فى سخرية :

ــ نعم يا فتاتى .. اللُّعبة .

شهقت فى ذُعْر ، والتفتت إلى (نور) ، تسأله فى هَلَع :

ــ ما هذا يا (نور) ؟

وفى هدوء ، وفى منتصف القاعة تمامًا ، تكوَّنت صورة هولوجرافية لرجل بالغ الضخامة ، يبتسم فى سخرية ، ويقول :

ــ إنه أنا يا فتاتى .. أنا صاحب اللُّعبة ، ومدير العرض ..

وتألَّقت عيناه فِى زَهْو ، وهو يستطرد :

ــ أنا المَلِك .

وانطلقت فى المكان ضحكة شيطانيَّة مُخيفة ، تُصِمُّ الآذان ..

* * *

٩ ــ المارد القَزَم ..

لبث (نور) صامتًا ، يتطلَّع إلى الصورة الهولوجرافية الضخمة ، ويضمّ زوجته ، التى ترتجف فى هَلَع ، إلى صدره ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ مَنْ أنت يا صاحب اللُّعبة ؟

أجابه الصوت الجَهْوَرِىّ الساخر :

ــ (مارد) .. اسمى (مارد) .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ (مارد) ؟! .. يا له من اسم !

تجاهل (مارد) سخريته ، وقال :

ــ لقد فهمت قواعد اللُّعبة يا فتى .. فهمتها الآن فقط ، على الرغم من أننى أُديرها منذ البداية .. منذ فتحت لكما المدخل السِّرِّىّ .

غمغم (نور) :

ــ كان ينبغى أن أتوقَّع ذلك .

ابتسم (مارد) فى زهو ، وهو يقول :

ــ ولكنك لم تفعل ، على الرغم من ذكائك الشهير ، الذى يتباهَوْن به فى كل المحافل .

ضمَّ (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ إذن فأنت تعرفنى .

هتف (مارد) :

ــ وأتمنَّى منازلتك منذ زمن .

قال (نور) ساخرًا :

ــ بجسدك أم بصورتك المجسَّمة ؟!

أجابه (مارد) فى غضب :

ــ بل بعقلى .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ عقلك ؟! .. ألك عقل حقًّا ؟

هتف (مارد) فى حِدَّة :

ــ أجل أيها المغرور .. إنَّ لى عَقْلًا يفُوق عقلك ذكاءً .

غمغم (نور) فى استهتار :

ــ هكذا ؟!

هتفَ (مارد) :

ــ اسمع أيها المتبجِّح ، إننى أقدر أن أمزِّقك إربًا .. بضغطة زِرّ واحدة من موقعى ، أستطيع أن أفتح ذلك الباب ، الذى دخلتما منه الآن ، فتندفع ذئابى تمزيقكما .

ارتجف جسد (سلوى) ، بمجرَّد تصوُّر الفكرة ، على حين قال (نور) ساخرًا :

ــ أهذا ما تُطلق عليه اسم القتال العقلى .

عقد (مارد) حاجبيه فى شدَّة ، وقال :

ــ كلَّا .

ثم لانت ملامحه بغتة ، وهو يستطرد :

ــ هناك لُعبة أُخرى ، أُطلق عليها هذا الاسم .

سأله (نور) فى هدوء :

ــ أيَّة لُعبة ؟

أجابه (مارد) فى حِدَّة :

ــ لُعبة تحتاج إلى مهارة الاستنتاج ، وحِدَّة الذكاء ، وتقتصر على اختيار مخرج واحد من تلك القاعة ، التى تقفان فيها .

وقسَا صوته ، وهو يستطرد :

ــ أحد بابين .

التفت (نور) إلى البابين ، وتطلّع إليهما فى هدوء ، ثم قال :
ــ أظنها لُعبة بالغة السهولة .
أطلق (مارد) ضحكة ساخرة ، وقال :
ــ وهنا تكمن صعوبتها .
وتحوَّل صوته إلى كتلة من القسوة والشماتة والخشونة ، وهو يستطرد :
ــ فخلف أحد البابين تكمن الحُرِّيَّة ، وخلف الآخر يختفى ذلك الذى يرهبه كل البشر ... الموت ..

* * *

نصب المندوب المصرىّ قامته فى اعتداد ، وسط قاعة مجلس الأمن ، وقال فى صوت قوىّ واثق :
ــ تريدون أيها السادة دليلًا على أننا لم ندبّر ذلك الأمر .. حسنًا .. سأمنحكم الدليل .. بل الأدلة .. وكم يدهشنى ، كما سيدهشكم بعد لحظات ، أنكم لم تنتبهوا إلى الخطإ الواضح فى الأمر .
ورفع يده فى قوّة ، هاتفًا :
انظروا إلى السماء أيُّها السَّادة .. لقد اكتست كلها تقريبًا بذلك السَّحاب الأسود البغيض ، وهذا يَعْنِى أن قوتكم

النوويَّة ، وأسلحتكم الفضائية كلها قد صارت عديمة الجَدْوَى .. أليس كذلك ؟
تبادلوا نظرات القلق ، وغمغموا :
ــ بلَى .
أشار إليهم فى صرامة ، مستطردًا :
ــ وطبقًا لتقارير الخبراء ، بقيت ساعة واحدة ، وتحجب تلك السُّحب السَّوداء السماء تمامًا .. أليس كذلك ؟
عادوا يغمغمون :
ــ بلَى .
هتف فى صرامة ، وبنبرات قوية :
ــ كيف نخشاكم إذن ؟ .. كيف نخشى تهديداتكم .. اسمعوا .. لو أننا الدولة التى أعَدَّت ذلك ، لكان هذا يَعْنِى أننا قد اتخذنا أُهْبَة الاستعداد ، لهزيمتكم جميعًا ، بعد أن تخسروا قوتيكم ، النوويَّة والفضائية ، ولكان يَعْنِى أيضًا أن تهديدكم لنا عديم الجَدْوَى ، وأننا نضمن هزيمتكم جميعًا .. أليس كذلك ؟
شَحُبت وجوه الجميع ، وتمتم أقل من نصفهم :
ــ بلَى .
لوَّح بذراعيه ، هاتفًا :

— إذن فلو أننا أصحاب تلك اللُّعبة القَذِرة ، لكنا نُسَيْطِر على مقاليد الأُمور فى العالَم الآن .

ثم خفَت صوته ، مستطردًا :

— ولكننا لم ولن نفعل .

سَرَت همهمة قويَّة فى القَاعة ، فصاح فى صرامة :

— صمتًا .

لاذ الجميع بالصمت على الفور ، فانحنى هو يضرب سطح مكتبه بقبضته فى قوَّة ، هاتفًا فى صرامة :

— أُكرِّر أيُّها السَّادة .. (مصر) لم تكن أبدًا دولة عُدْوانيَّة ، أو استعمارية ، وهى تشارككم فى مصيركم الآن .. ذلك المصير الذى أضعتموه فى هُراء وسخافات .

رَانَ الصمت على القاعة تمامًا ، وهو يواصل :

— لقد كنَّا نمتلك يومًا سفينة فضاء إمبراطورية أرغورانية ، تكفى وحدها لهزيمة العالم أجمع ، ومقاتل آليًّا فضائيًّا رهيبًا ، كاد أجدادنا يحتلون به الكَوْن(*) ؛ ولكننا لم نحاول أبدًا استخدام هذين السلاحين الرهيبين لاحتلال العالَم ، أو حتى لاحتلال دولة واحدة .. هل فعلنا ؟

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

أحنى الجميع رءُوسهم فى خجل ، وغمغم المندوب السوفيتى :

— كلَّا .. لم تحاولوا .

رَانَ الصمت تمامًا بعدها ، قبل أن يغمغم رئيس الجلسة فى خُفوت :

— لقد أضعتم الوقت هباءً ..

ثم خفض عينيه ، مستطردًا فى مرارة :

— وأضعتم الأرض ..

* * *

اقترب (نور) من البابين ، وعقد ساعديه أمام صدره فى هدوء ، وهو يتطلَّع إليهما ، على الرغم من هتافات (مارد) المثيرة للأعصاب :

— هيَّا أيها الرائد .. هيَّا .. انطلق إلى الحرِّيَّة ، أو إلى الموت .

تجاهل (نور) تلك الهتافات تمامًا ، على حين انقبض قلب (سلوى) ، وراحت ترتجف فى رُعب وتوتُّر ، وهى تختلس النظر إلى الصورة الهولوجرافية الضخمة لحظات ، ثم تشيح عنها بوجهها لحظات ..

أما (نور) ، فقد ركَّز كل اهتمامه وانتباهه فى البابين ،

وتناهى إلى مسامعه خليط من الأصوات المخيفة ، الشبيهة بالعواء والزَّمجرة ، والقادمة من خلف البابين بلا تمييز ، و (مارد) يهتف :

ـ خطوة واحدة ، وبعدها يتحقَّق مصيرك أيها الرائد .. خطوة واحدة وتعرف إلى أين طريقك .. هيَّا .. أقدم .

قال (نور) فى هدوء :

ـ صَهْ أيها الأحمق .. إننى أفكر .

صاح (مارد) فى هياج :

ـ أنت الأحمق أيها الرائد .. أنت الذى سيتحوَّل بعد لحظات إلى أشلاء ممزَّقة .. أنت ..

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ صَهْ .

ثم اتجه نحو أحد البابين ، مستطردًا :

ـ لقد اخترت هذا الباب .

صرخ (مارد) فى هياج :

احترس .. فكِّر قبل أن تتخذ قرارك .. ربما كان الموت خلف هذا الباب .

أجابه (نور) ساخرًا :

ـ لا بأس .. إننى أختاره .

صرخ (مارد) فجأة :

ـ قِفْ .

توقف (نور) ، وقال ساخرًا :

ـ لماذا ؟ .. أترفض الاعتراف بهزيمتك ؟

صاح (مارد) فى غضب :

ـ إننى أكبر من أن أفعل .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ بل قُلْ إنك أصغر من ذلك .

ثم عقد حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ـ أنت قَزَم .

خُيِّل لـ (سلوى) أن صورة (مارد) المجسَّمة قد تراجعت فى ذُهول ، قبل أن يهتف فى غضب هائل :

ـ ماذا تقول أيها الوَقِح ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أقُول إنك قَزَم ، وقبيح أيضًا ، وأنك مصاب بعقدة نفسية من ذلك ، جعلتك تسعى للقوَّة والتفوُّق ، فظهرت فى رسالتك الإنذاريَّة بوجهك فقط ، حتى لا ينتبه المشاهدون إلى

أنك قَزم ضئيل ، وهنا عملت على تضخيم صورتك الهولوجرافية ، لتبدو ماردًا كاسمك ، إلّا أنّ نسب الجسم كانت واضحة ، وتشى بأنك مجرّد قَزم .. قَزم ضئيل قبيح .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى انفتح الباب الذى اختاره مسبقًا ، وظهر على عتبته (مارد) ، بجسده الضئيل ، ووجهه القبيح ، وبدا شديد الغضب ، وهو يقول :

ـ لقد خسرت أيها الرائد .. إن اختيارك الباب ، الذى أقف خلفه يَعْنِى أنك قد فشلت ، والفشل هنا يَعْنِى شيئًا واحدًا .

وانعقد حاجباه فى شِدّة ، وهو يستطرد :

ـ الموت ..

* * *



١٠ ـ الرُّعب ..

عقد (نور) ساعديه فى هدوء ، وهو يتطلّع إلى (مارد) ، وقال فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ وكيف ستقتلنا أيها المارد ؟

أشار (مارد) إلى صدره ، قائلًا :

ـ لا تستهن بضآلة جسدى أيها الرائد .. إننى أحيط جسدى بهالة كهرومغناطيسية ، تمنع أى مخلوق من الاقتراب منّى ، أو حتى لمسى ، على حين لا يوجد ما يمنعنى من فتح الباب ، وترك الذّئاب تفترسكما .

قال (نور) ساخرًا :

ـ إنك تخيفنا .

عقد (مارد) حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ اسخر كما شئت أيها الرائد .. لقد بَقِيَتْ على مصير كوكب الأرض خمسون دقيقة فحسب ، ولو اكتملت دائرة السُّحب السَّوداء ، فما من قوّة على الأرض يمكنها أن تعيد إليكم ضوء الشمس .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ــ هذا يَعْنِى أنه بقيت أمامنا خمسون دقيقة .

هتف (مارد) :

ــ بل دقيقة واحدة ، وبعدها أقتلكما ، وأصبح أنا ملك الأرض كلها .

قالت (سلوى) فى دهشة :

ــ أتَعْنِى أنك صاحب كل هذا ؟

ابتسم فى زَهْو ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. بل أنا الفائز بكل هذا .. لقد تركت ذلك الأحمق يبذل أقصى جهده ، لعشر سنوات متواصلة ، وهو يُطلق على نفسه اسم (أمير الظلام) ، وبعدها سألقى به فى هُوَّة العقاب .. وسأصبح أنا الملك .. ملك الأرض كلها ، و .....

فجأة ، احتبست الكلمات فى حلقه ، واحتقن وجهه فى شِدَّة ، وجحظت عيناه ، وبدا ذلك الطَّوْق الذهبىّ ، الذى يحيط بعنقه ، كما لو كانَ يضيق ، ويضيق ، ويعتصر عنقه فى إصرار ..

وسقط القَزَم جاثيا على ركبتيه ، وراح يلهث ، ويصدر من بين شفتيه حشرجة مخيفة ..

ثم أخذ يَعْوِى ككلب جريح ..

وتشبَّث بالطَّوْق الذهبىّ فى استماتة ، وكأنما يحاول انتزاعه من حول عنقه ..

وتراجعت (سلوى) ، وهى تهتف فى رُعْب :

ــ ماذا يحدث ؟

أجابها (نور) ، وهو يحدِّق فى وجه القَزَم :

ــ يبدو أنه نوع من العقاب ، أو .....

قاطعه صوت صارم يقول :

ــ صدقت يا فتى .

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت ، ورأيا الباب الثانى ينزاح فى بطء ، وشهقت (سلوى) فى ذُعر ، وتراجعت فى حركة حادَّة ، وهى تحدِّق فى وجه القادم وجسده فى رُعْب هائل ، على حين عقد (نور) حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !! ..

لقد كانَ يقف أمامهما رجل بلا جلد ..

رجل يرتدى غلالة رقيقة للغاية ، شديدة الشفافية ، يظهر تحتها فى وضوح جسد يحوى العضلات والعروق والأعصاب فحسب ..

ولكن بلا جلد ..



لقد كان يقف أمامهما رجل بلا جلد .. رجل يرتدى غلالة رقيقة للغاية ، شديدة الشفافية ..

حتى الوجه كان عاريًا من الجلد ..

رأس أصلع مخيف ، برزت كل عضلاته حمراء واضحة ، حتى لتصلح لرسمها فى كتاب تشريح علمىّ ..

ووسط كل هذا عينان مخيفتان ..

عينان بلا أجفان ..

وفى هدوء ..

بل فى برود ..

اقترب ذلك الرجل المُرْعب من القَزَم ، ودفعه بقدمه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـــ جميل منك أن أوضحت هدفك الحقيقى يا عزيزى (مارد) .

جحظت عينا القَزَم فى شِدَّة ، وتضاعف احتقان وجهه ، حتى بات شديد الاحمرار ، ورفع كفَّه فى ضراعة ، مغمغمًا فى صوت متحشرج مختنق :

ـــ الـ ... الرَّحمة ..

مطَّ (أمير الظلام) شفتيه فى ازدراء ، وقال :

ـــ أيَّة رحمة يا (مارد) ؟

وتجاهل (نور) و (سلوى) تمامًا ، وهو يتجه نحو أحد أركان القاعة ، ويضغط زرًّا صغيرًا ، فينزاح قرص من منتصف

القاعة ، ويبدو أسفله ، وعلى الضوء الخافت ، حوض مملوء
بسائل عجيب ، أشار إليه (أمير الظلام) ، قائلًا فى برود :
ــ الرَّحمة هنا يا (مارد) .. فى هُوَّة العقاب .
زحف القَزَم مبتعدًا فى رُعْب ، وهو يهتف بصوته المُختَنِق :
ــ الـ .. الـ .. الرحمة !!
تنهَّد (أمير الظلام) ، وهزَّ رأسه البشع فى بطء ، وقال :
ــ فاتك أننى لا أعرف الرَّحمة .
واكتسى صوته بنبرة غليظة ، وهو يستطرد :
ــ بل العدل .
ــ وعادت إليه لهجته الهادئة ، وهو يُرْدِف :
ــ وفاتك أيضًا أنَّ الطَّوْق الذهبىّ لم يكن مجرَّد هَدِيَّة ، بل
جهاز إرسال وتجسُّس .. وعقاب .
وفى هدوء ، دفع القَزَم بقدمه نحو الحَوْض ، مستطردًا :
ــ وداعًا يا (مارد) .
هتف به (نور) :
ــ ماذا ستفعل ؟
وقفز نحوه ، ولكن ..
سبق السَّيف العزل ..
لقد سقط (مارد) فى الحَوْض ..

وصرخت (سلوى) فى رُعْب ..
صرخت عندما رأت السائل يَفُور ويَغْلِى ..
وذاب فيه جسد (مارد) ، كما ذابت صرخاته وتوسُّلاته ..
وانطلقت (سلوى) تبكى فى انهيار ، وهى تهتف :
ــ مَنْ أنت ؟.. من أنت بالله عليك ؟
أجابها الرجل فى هدوء :
ــ أنا (أمير الظلام) .
هتف (نور) فى صرامة :
ــ أهذا لقبك الجديد ؟.. عجبًا !!.. لقد كنت تُدعى
فيما سبق (نادر) .. (نادر أدهم) .
بدا الرجل هادئًا ، ساكنًا لحظات ، ثم قال :
ــ هذا صحيح .
وأشار إلى الحَوْض ، مستطردًا :
ــ حتى سقطت فى حَوْض مثل هذا ، كان يَحْوِى حِمْض
الهيدروكلوريك فحسب ، وهو حمض ضعيف كما تعلمان ،
وليس حمضًا فتَّاكًا مثل حمض النيتريك هذا .. وكانت النتيجة
أن فقدت كل جلدى كما تريان .
غمغمت (سلوى) فى ارتياع :

ــ إننى لم أرَ شيئًا كهذا أبدًا .
مطَّ شفتيه ، وقال :
ــ هكذا قال ذلك الطبيب النابغة .. الذى عالجنى .. لقد أكَّد أننى قد فقدت كل جلدى .. كل خليَّة فيه ، حتى أنه من المستحيل أن يعود إلىَّ مرَّة أُخرى ، وكان هذا مؤلمًا ، بسبب بروز نهايات الأعصاب ، فصنع لى هذه الحُلَّة ، التى تكلَّفت مليون جنيه دفعة واحدة ، والتى يمكننى أن أرتديها دون ألم ..
وتنهَّد فى عمق ، ثم استطرد :
ــ وبقيت مشكلة واحدة .
قال (نور) :
ــ الشمس .
التفت إليه (نادر) فى هدوء ، ثم ابتسم ، قائلًا :
ــ تمامًا .. أنت ذكىّ أيها الرائد .
ثم اعتدل مستطردًا :
ــ نعم .. كانت هناك مشكلة الشمس .. كان علىَّ أن أبقى طِيلة عمرى بعيدًا عنها ؛ لأنها كانت تؤلمنى .. كان علىَّ أن أحيا فى ظلام دائم ، وسجينًا طوال النهار .

وابتسم فى شرود ، وهو يُرْدِف :
ــ وكان من الضرورىّ أن أتحرَّر من هذا السجن العنيف .
غمغم (نور) فى بغض :
ــ بأن تضع العالَم كله فى سجن .. أليس كذلك ؟
ابتسم (نادر) ، قائلًا :
ــ كانت فكرة مُغْرِيَة .
قال (نور) فى حِدَّة :
ــ وحقيرة .
أضاف (نادر) فى برود :
ــ وناجحة .
هتف (نور) فى غضب :
ــ ليس بعد .
أطلق (نادر) ضحكة ساخرة ، وقال :
من قال ذلك ؟.. هناك فى هذه الحجرة ، من حيث جئت ، يوجد كمبيوتر رهيب ، هو أعظم كمبيوتر أنتجته قريحة البشر .. وهو الذى صنع تلك السُّحب السَّوداء ، من مزيج من ذرَّات الحديد ، المحاطة بمجال كهرومغناطيسى ، وآخر مضاد للجاذبية .. تحفة رائعة بحقّ ، تكفى لأن يصبح

العالَم كله فى ظلام دامس ، وبعد عشرين دقيقة فقط ، ستنتهى علاقة الأرض بالشمس ، فيما عدا دورانها حولها فحسب .. لقد صنعت حول الأرض غلافًا يفُوق الغلاف الجوّىّ ، غلافًا يستحيل اختراقه .

هتف (نور) فى صرامة :

ــ هذا بعد عشرين دقيقة .

ثم انقضّ على (نادر) ، هاتفًا :

ــ أى أن الوقت لم يَفُتْ بعْدُ .

تراجع (نادر) ، صارخًا :

ــ ماذا تفعل أيها التّعِس ؟ .. إنّك .. إنّك ستقتلنى بلكمة واحدة .

توقَّف (نور) بغتة ، وهو يردِّد فى توتُّر :

ــ يا إلٰهى !! هذا صحيح .. إنك رجل بلا جلد .. وكل أعصابك تقف فى المواجهة ، ولكمة واحدة تكفى لمنحك صَدْمة عصبيَّة رهيبة ، تكفى لقتل فيل كامل .

ابتسم (نادر) فى خبث ، وهو يقول :

ــ وأنت لا تقتل أحدًا .. أليس كذلك ؟

تراخت ذراع (نور) إلى جواره لحظة ، ثم لم تلبث قبضته أن انضمَّت فى قوَّة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ما لم يستحق القتل .

ثم اقترب من (نادر) ، الذى تراجع هاتفًا فى رُعْب :

ــ ستصبح قاتلًا أيها الرائد .. هذا ينافى مبادئك .. تذكَّر ذلك .. وفجأة ، انقضّ على (نور) ، وصرخ فى هياج :

ــ ولكنه لا ينافى مبادئى .

قفز (نور) جانبًا ، وتفادى انقضاضة (نادر) ، الذى فقد توازنه ، وجحظت عيناه فى رُعْب ، وهو يسقط فى حَوْض الحامض ، صارخًا :

ــ كلَّا .. ليس مرَّة أخرى .. ليس .....

وهوى فى الحوض ..

ولم ينبس بحرف واحد بعدها ..

أبدًا ..

* * *

١١ ـ الختام ..

صرخت (سلوى) فى رُعب ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !! .. لقد .. لقد ......

صاح بها (نور) :

ـ دَعْك منه .. لقد ذهب إلى حيث يستحق .

أمسك معصمها ، وانطلق يعدُو معها عَبْرَ الباب الثانى ، وعَبْرَ ممرّ طويل ، وهو يهتف :

ـ أمامنا اثنتا عشرة دقيقة فحسب .. هيَّا .

واصلا عَدْوَهما حتى توقفا أمام باب معدنىّ ، وهتفت (سلوى) :

ـ إنه باب إليكترونىّ .

صاح بها :

ـ أيمكنك فتحه ؟

هتفت :

ـ سأحاول .

احتاج الأمر إلى ثلاث دقائق ، حتى انفتح الباب ، فاندفع الاثنان داخل حجرة (نادر) الرَّهيبة ، وهتفت (سلوى) فى انبهار :

ـ يا إلهى .. إنها أشبه بقصر .

هتف بها (نور) :

ـ فلتذهب إلى الجحيم .. أمامنا تسع دقائق فحسب .

ثم انتزع ساعته ، وألصقها بالكمبيوتر الضخم فى الحجرة ، وضغط زِرَّ الإرسال فى جانبها ، هاتفًا :

ـ (نشوى) .. هل يمكنك إبطال برنامج الكمبيوتر هذا ؟

أجابته ابنته فى لهفة ، عَبْرَ جهاز الاستقبال فى الساعة :

ـ إنه شديد التعقيد يا أبى ، ولكننى سأوقفه بإذن الله .

راقب (نور) و (سلوى) برنامج الكمبيوتر فى توتُّر بالغ ، وراحت الدقائق تجرى فى سرعة مخيفة ، حتى توقَّف البرنامج فجأة ، فهتف (نور) :

ـ رائع يا (نشوى) .. كيف فعلت ذلك ؟

أجابته فى مرح :

ـ لقد فشلت فى إيقاف البرنامج ، فأمرته بالعمل عكسيًّا .

أطلق ضحكة مَرِحة ، وقال :

ـ رائع يا بنيّتى .. هذا سيَغِنى أن تنقشع السُّحب .

ضحكت بدوْرِهَا ، وقالت :

ـ إنه انتقام عادل .. أليس كذلك ؟

ضحك وقال :

ـ بلَى يا عزيزتى .. المهم أن ترسلى إلينا فريق إنقاذ .. ونحن نختفى فى قبو سِرِّىّ خاصّ ، أسفل قصر (نادر أدهم) ، وسنرسل لكم ذبذبة خاصّة ، تساعدكم على الوصول إلينا .. وضعوا فى الاعتبار أنكم ستواجهون قطيعًا من الذئاب .

أنهى الاتصال ، والتفت إلى (سلوى) مبتسمًا ، فقالت فى حِدّة :

ـ هل (نشوى) أحد أفراد الفريق ؟ .. لماذا لَمْ تخبرنى ؟

ضحك قائلًا :

ـ لقد كانت هى الفريق الاحتياطىّ .

قالت فى غضب :

ـ كان من الضرورىّ أن تخبرنى .

ابتسم قائلًا :

ـ ها قد فعلت .

ثم ضمها إلى صدره ، مستطردًا :

ـ ولقد انتهت تلك العملية يا عـزيزتى .. عمليـة (أمير الظلام) .

* * *

قفز المندوب المصرىّ من مقعده فى انفعال ، على نحو جذب انتباه كل مندوبى الدول ، فى قاعة مجلس الأمن ، وهتف وهو يلوّح ببرقية صغيرة فى يده :

ـ خبر رائع أيها السّادة .. لقد بدأت السُّحب تنقشع .

سَرَت همهمة رهيبة بين الحضور ، وهتف المندوب الأمريكى فى انفعال :

ـ كيف عرفت ؟

هتف المندوب المصرىّ فى زَهو :

ـ لقد وصلتنى تلك البرقية الآن .. لقد فعلها رجالنا .. لقد أنهت المخابرات العلمية المصرية الخطر .. لقد انتصر الرائد (نور) ، وأنقذ الأرض مرّة أخرى .

رَانَ الصمت لحظة ، ثم تفجّرت القاعة بِمَوْجَة من التصفيق والهُتاف ، وأحاطوا بالمندوب المصرىّ ، الذى انتفخت أوْداجُه فى فَخر ..

وفى تلك الليلة ، ارتفع علَم شرف على قمّة مبنى مجلس الأمن ..

علم الدولة الظافرة ..

علم (مصر) ..

* * *

[تمت بحمد الله]